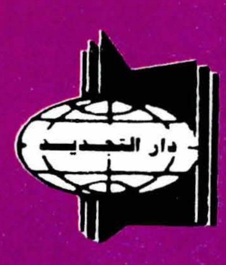








# تنبيهات

على ما ذكره الأخ

## الشيخ عبد الله السبت

في محاضرة

"الأخطار الداخلية التي تهدد وحدة الأمة"

بقلم

## حامد بن عبد الله العلي

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

سلسلة التنبيهات

(٥)

# تنبيهـــات

# علىٰ ما ذكره الأخ الشيخ

# عبدالله السبت في محاضرة

# (الأخطار الداخلية التي تهدد وحدة الأمة)

الطبعة الأولىٰ
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م






دار التجديد للنشر والتوزيع ـ الكويت ص ب: ٣٩٤٥ النزهة
الرمز البريدي: ٧٣٠٥٥ 73055 الكويت.
فاكس: ٥٣٢٧١٢٣/ ٠٠٩٦٥

# تنبيهـات

## على ما ذكره الأخ الشيخ عبدالله السبت في محاضرة

(الأخطار الداخلية التي تهدد وحدة الأمة)

بقلم:

حامد بن عبدالله العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

# بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم عبده ورسوله.

وبعـــد:

فقد ألقى الأخ الكريم (عبدالله السبت)، محاضرة بعنوان: (الأخطار الداخلية التي تهدد وحدة الأمة) في مخيم ربيعي في شعبان عام ١٤١٥هـ، في الكويت.

وقد اشتملت علىٰ أمور ذات خطر، ورأيت أنه من النصح للأخ الكريم ولمن يستمع للشريط، أن أكتب هذه التنبيهات، فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا لمن: قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه مسلم.

هذا وليس علىٰ الأخ الكريم عبدالله السبت ولا علىٰ من أخطأ ـ غير عامد ـ من سبيل إن شاء الله، إنما السبيل علىٰ الذي يبخل علىٰ أخيه المسلم وعلىٰ أمته بالنصيحة وهو قادر، ويرضى أن يكون مع الخوالف.

وهذا ـ أيضاً ـ من أصول المنهج السلفي، فما زال سلفنا الصالح في قرون الإسلام الخالية، يرد بعضهم علىٰ بعض في دقيق العلم وجليله، لأن الله أخذ الميثاق علىٰ أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه.

والأخ الكريم الفاضل ـ الذي له جهود تُشكر ولا تُنكر ـ له في هذا الباب إساهمات معروفة[1]، فقد ضرب عليه جروته، وشد له حزيمه، وهو مما شجعني علىٰ كتابة هذه التنبيهات لعلها تقع منه ومن قارئها موقعها الحسن بتوفيق الله.

ولولا أن ما ذكره الأخ المحاضر مما جانب فيه الصواب،

---

(١) ومن قوله: (أما الذي عنده ملاحظات فالأولىٰ أن يكتبها في رسالة أو في كتاب ثم تنشر على الناس فيكون رأي علمي وأنا أشجع يعني نشر الردود العلمية بين أهل العلم حتىٰ يعني ننمي ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن الدائرة السلفية) محاضرة السلفية منهج لا أشخاص.

في أبواب من مهمات الدين، وأصول السنة، وقد ذاع الشريط وشاع للبِسْتُ عليه الأُذن، ولكن دواء الشق أن تحوصه، وقد كان في أمور:

١- تعليقه الذم الشرعي علىٰ غير أدلة الشرع، فأنتج ذلك ما يلزم منه لعن كثير من علماء الأمة وأئمتها.
٢- جعله أمة الإسلام هم السلفيون فقط، وإنزال آي القرآن علىٰ هذا المفهوم.
٣- جعله الجماعات الإسلامية من الفرق الضالة بإطلاق، فلزم إخراجها من الأمة (علىٰ مفهومه).
٤- تحريمه التعاون مع الجماعات الإسلامية إلا للضرورة.
٥- صرفه النظر عن الأخطار العظيمة علىٰ وحدة الأمة، كالفكر اللاديني والأنظمة القائمة عليه تُديِّن الناس له بالحديد والنار وتعبث بدينهم وأخلاقهم، والفرق الباطنية وغيرها، وحصره توجيه السهام إلىٰ نحور الجماعات الإسلامية التي صارت في كثير من بقاع الأرض في أمر لا ينادي وليده، ولبس لها أعداء الإسلام جلد النمر، أفلما حمي الوطيس، يُعان عليهم؟

وأمور أخرىٰ.

وقسمت التنبيهات إلىٰ قسمين:

**الأول: التنبيهات الأساسية.**

**الثاني: التنبيهات الفرعية واللفظية.**

ثم خلاصة جامعة، وألحقت نصوص المحاضرة التي علقت عليها التنبيهات في آخر الرسالة، لتكون أمام القارىء واضحة بسياقها.

وإني لأرحب بتوفيق من الله، بكل توجيه من ناصح متأدب بآداب الإسلام، ولا أبرأ نفسي، فما منا إلا راد ومردود عليه إلا النبي الأمي عليه أفضل الصلاة والسلام.

هذا، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يوفق الجميع للحق والصواب، ويعيننا على أنفسنا، ويلهمنا رشدنا، أنه حسبنا عليه وتوكلنا وعليه فليتوكل المتوكلون.

# أولاً: التنبيهات الأساسية
# تأصيله أصلاً يلزم منه
# لعن كثير من الأئمة والعلماء

قوله: (ثم ترتب علىٰ ذلك أمراً[1] أعظم من هذا كله وهو تلميع المبتدعة وأهل الأهواء القدامىٰ والجدد ووصفهم بالمجدد والإمام والشهيد والعالم الرباني و و، ونسوا هؤلاء أن من آوىٰ محدثاً فعليه لعنة الله وفي هذا كلام جميل للحافظ ابن حجر يقول: وإن كان قد علم أن من آوىٰ أهل المعاصي ـ طبعاً أهل البدع أولىٰ ـ أنه يشاركهم في الإثم فإن من رضي بفعل قوم وعملهم التحق بهم)[2]

تضمن كلامه هذا أموراً:

الأول: أن أعظم مما تقدم (وكان قد ذكر الأخذ بمذهب الخلف وعدم تشجيع البحث العلمي وتحويل الناس إلىٰ العمل السياسي والتهريج)، هو تلميع المبتدعة.

---

(١) كلام المحاضر سيورد بحروفه بلا تغيير في جميع المواضع.

(٢) ص١١٠

الثاني: أن تلميع المبتدعة هو وصفهم بما ذكر ونحوه.

الثالث: أن فاعل ذلك يدخل في الوعيد المذكور في الحديث.

الرابع: استشهاده بكلام ابن حجر رحمه الله علىٰ ما ذكر.

والتعليـــق:

الحديث الذي ذكره رواه البخاري في فضائل المدينة والجزية والفرائض والاعتصام بالكتاب والسنة، ولفظه (المدينة حرم من عير إلىٰ ثور من أحدث فيها حدثاً أو آوىٰ محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يُقبل منه صرف ولا عدل).

وما حكاه عن ابن حجر ليس هو من كلامه وإنما من كلام ابن بطال ولفظه (دل الحديث علىٰ أن من أحدث حدثاً أو آوىٰ محدثاً في غير المدينة، أنه غير متوعد بمثل ما توعد به من فعل ذلك بالمدينة، وإن كان قد علم أن من آوىٰ أهل المعاصي أنه يشاركهم في الإثم فإن من رضي بفعل قوم وعلمهم التحق بهم، ولكن خصت المدينة بالذكر لشرفها لكونها مهبط الوحي وموطن الرسول عليه الصلاة والسلام، ومنها انتشر الدين في أقطار الأرض فكان لها بذلك مزيد فضل علىٰ غيرها) فتح الباري ١٣/ ٢٨١

والحديث دل علىٰ أمرين:

الأول: أن من آوىٰ أهل الأحداث في الدين فإنه مستحق للعقوبة، وذلك من باب دلالة إيوائه لهم علىٰ رضاه بفعلهم، وقول ابن بطال رحمه الله: (فإن من رضي بفعل قوم وعملهم التحق بهم) تعليل لقوله: (وإن كان قد علم أن من آوىٰ أهل المعاصي أنه يشاركهم في الإثم) والتعقيب بالفاء يدل علىٰ التعليل، وهو واضح، فإن إيواءهم أبلغ من الرضى بفعلهم بقلبه بلا إيواء، فإن الرضى يكون في القلب، وهذا زاد عليه بفعل ظاهري ولهذا استحق هذا الوعيد الشديد.

الثاني: أن العقوبة وإن كان يستحقها كل من وقع في الفعل إلا أنها في المدينة مضاعفة لشرفها.

فأين موضع الدلالة من الحديث، ومن كلام ابن بطال رحمه الله الذي عزاه المحاضر إلىٰ ابن حجر، علىٰ أن من وصف من وقع في بدعة، بالإمام ونحو ذلك مما يرىٰ أنه يستحقه لما له من الفضل والخير والعلم النافع والعمل الصالح في غير بدعته، أنه بذلك يدخل في لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وهل يريد أن يدخل في اللعنة مثل:

الشيخ العلامة المحدث ناصرالدين الألباني، في قوله:

(العلامة المودودي حفظه الله) الحديث حجة بنفسه ص٨٥.

وقوله: (الأستاذ الكبير سيد قطب رحمه الله) مختصر العلو ٦٠.

والعلامة المحقق محمد خليل هراس في قوله: (الإمام محمد عبده رحمه الله) دعوة التوحيد ص٧٢

وغيرهم كثير وكثير جداً، لا يحصيهم إلا الله، ومن عنده أدنىٰ اطلاع علىٰ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي يرىٰ أنه يلزم دخوله في اللعنة ـ لعنه الله والملائكة والناس أجمعين ـ علىٰ قول المحاضر، لما يصف به الإمام الذهبي رحمه الله كثيراً من الواقعين في البدعة من الألقاب العظيمة في الدين[1]

وفي كلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، من هذا مما لا يحتاج إلىٰ نقله هنا لكثرته، وخلق لا يحصون، فهل يريد المحاضر أن يحشر كثيراً من علماء الأمة في اللعنة، بناءً علىٰ ما أسماء بالتلميع.

ثم ما هذا (التلميع) الذي شرعت به هذه الشريعة، هل هو في الكتاب أم في السنة أم دل عليه الإجماع الصحيح

---

(١) كقوله عن أبي حامد الغزالي (الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان. .) السير ٣٢٢/١٩

المتيقن، وقد تقرر عند أهل التحقيق أن اللفظ الذي يراد به الذم الشرعي ولم يكن من ألفاظ الكتاب والسنة، فلا بد من بيان معناه بياناً واضحاً، وضبطه ضبطاً تاماً، يعرف به وجه استحقاق من يصدق عليه مدلوله للذم.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فأما الأسماء التي لم يدل الشرع علىٰ ذم أهلها ولا مدحهم فيحتاج فيها إلىٰ مقامين:
(أحدهما) بيان المراد بها، (والثاني) بيان أن أولئك مذمومون في الشريعة) مجموع الفتاوىٰ ٤/١٤٧

وقال: (وأما الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي علىٰ معناها إلا أن يبين أنه يوافق الشرع) طريق الوصول للسعدي نقلاً عن درء تعارض العقل والنقل ص٥٧.

وإحداث الألفاظ هكذا كما تفعل المبتدعة في لفظ الحشوية والمجسمة والجهة ونحوها، ليس من سبيل أهل التحقيق.

ولهذا فإنه لفظ ـ كما يقال في لغة العصر ـ مطاطي، يستعمله من أراد أن يغالط السامع ويلقي عليه كلاماً ضخماً في السمع، مشتبهاً في المعنىٰ، ليتوصل به إلىٰ معنىٰ خاص في نفسه.

والتفصيل الصحيح في هذا الباب، أن من أثنى علىٰ من وقع في بدعة ممن ليس رأساً في ضلالة يدعو إليها ويحمل الناس عليها كرؤوس الجهمية الداعين إليها والخوارج والقدرية ونحوهم، من أثنى عليه فيما أحسن فيه ولما يرىٰ فيه من الفضل والعلم والعمل الصالح مما يستحق به مدح المؤمنين، أن صنيعه هذا محمود، ولم تزل هذه سنة أئمة العلم والدين قبل إحداث هذه المشاغبات، وليس هذا موضع بسط هذا الباب.

## تعليقه الذم الشرعي على غير الأدلة الشرعية

قوله: (طبعاً هناك أناس يزعمون أنهم من السلفيين، ولكن ما هم من السلفيين، لسنا وهم بشيء، ما نريدهم هؤلاء، نحن نريد من حقيقة كان سلفياً معروفا)[1]

وقوله، وقد سئل عن أوصاف الحزبيين (معروفين، يعرفهم الإنسان بحركاتهم وسكناتهم وتعصبهم ضد أهل الحق، في أحياناً بعض العلم ما ينوصف إلّا الإنسان يعرفه بالممارسة)[2]

التعليـــق:

في هذا الكلام غموض وغرابة والجواب عليه من جهتين:

**الأولىٰ**: أنه سئل عن (الحزبيين) والسائل يسأل عن دينه، وعن أسماء الذم فيه، كما هو ظاهر، ويريد أن يبني علىٰ ذلك حكماً شرعياً مما يترتب علىٰ أسماء الذم الشرعية، فجاء الجواب: (أن بعض العلم لا ينوصف إلّا الإنسان يعرفه بالممارسة).

ولولا إحسان الظن، والتماس العذر، لكان الأقرب والذي

---

(١) ص١١٧ وانظر ص١١٨

(٢) ص١٢٠

يدل عليه ظاهر كلامه أنه متأثر بالتصوف الفلسفي والعياذ بالله.

وذلك أنه كما تقدم عن ابن تيمية رحمه الله: (الأسماء التي يتعلق بها المدح والذم من الدين، لا تكون إلا من الأسماء التي أنزل الله بها سلطانه ودل عليها الكتاب والسنة والإجماع، كالمؤمن والكافر والعالم والجاهل والمقتصد والملحد. ، فأما الأسماء التي لم يدل الشرع على ذم أهلها ولا مدحهم فيحتاج فيها إلى مقامين، أحدهما بيان المراد بها والثاني بيان أن أولئك مذمومون في الشريعة) وتقدم النقل الآخر والعزو[1]

وهذه القاعدة التي ذكرها شيخ الإسلام في غاية الأهمية، لا سيما هذه الأيام حيث كثر ذم الناس ومدحهم بالاصطلاحات الحادثة، وتعصب كثير من الناس لها أكثر من تعصبهم للأسماء الشرعية في بعض الأحيان، وصار بسبب ذلك من النزاع والشقاق والخلاف ما لا يرضى الله سبحانه وتعالى ولا يحل في دينه المنزل.

وكلام المحاضر الفاضل داخل فيما تقدم، فإنه لم يبين الأقوال والأعمال التي قامت بهذه الطائفة وصارت بحكم

---

(١) طريق الوصول للسعدي نقلاً عن درء تعارض العقل والنقل ص٥٧. ومجموع الفتاوي (١٤٦/٤).

الكتاب والسنة من أجلها مذمومة في الشريعة، واكتفى بإحالة السائل إلىٰ ما لا يوصف ولا يعرف إلا بالممارسة، كما تقول الصوفية سواء.

وزاد بأن السلفي الذين يستحق هذا الاسم الشرعي المحمود، هو الذي كان سلفياً معروفاً، فكأنه يريد أن يقول لا ينفعك الآن أنك سلفي ولا يوجد عندنا الآن ما يمكننا من الحكم عليك بالسلفية فقد مضى القطار، وفات الأوان، ولو زعمت أنك تدين بأصول أهل السنة ولو صنفت فيها ودرستها، لأن السلفي هو الذي (حقيقة كان سلفياً معروفاً)، فؤلئك دخلوا في الطريقة، وتشرفوا بخرقتها، ورضي عنهم شيوخها، ولا بد أن يرضى عنك شيوخها بالممارسة، ومشاهدة حركاتك وسكناتك، وأن لا تتعصب ضدنا (نحن أهل الحق) المشهود لهم بالسلفية قبلك، والمفوض إليهم وحدهم التفضل عليك بهذا الصك، أقول كأنه وهو إن شاء الله ليس كذلك.

وهذا، أعني الذم بغير سلطان من الشرع، وترك الألفاظ والأسماء الشرعية إلىٰ ألفاظ مشتبهة، من أعظم أسباب الإنحراف في باب الأسماء والأحكام، ومن أعظم أسباب الفرقة والتنازع في تاريخ الأمة.

**الثانية**: أنه قد تقرر عن أهل العلم، أن أصول السنة معروفة، وأعلامها ظاهرة، سهلة ميسرة، موافقة للفطرة، قريبة من القلوب السليمة، فمن كان سليم الفطرة وأذعن لدين الإسلام، ولم يتلبس بشيء من أصول الضلالة، فهو من أهل الإسلام والإيمان، مستحق لهذين الاسمين الذين هما بعد الإحسان، أعظم أسماء المدح وأفضلها، المذكورة في القرآن العظيم والسنة المطهرة، وهو من أهل السنة والجماعة لأنهم حقاً وصدقاً أهل الإسلام والإيمان.

وأن أصول أهل السنة بعد تجريد التوحيد بأنواعه لله وحده وتجريد الاتباع للنبي ﷺ، وعدم معارضة الكتاب والسنة والإجماع بشيء، لا عقل ولا رأي ولا ذوق ولا سياسة ولا قياس ولا قول أحد كائناً من كان.

أن أصولهم التي تميزوا بها عن سائر الفرق ترجع إلىٰ أربعة أبواب:

**الأول**: باب الأسماء والصفات.

**الثاني**: باب القضاء والقدر.

**الثالث**: الأسماء والأحكام والوعد والوعيد.

**الرابع**: الصحابة والإمامة والخلافة ونحو ذلك[1]

---

(١) انظر التفصيل في مذكرة التوحيد لعبدالرزاق عفيفي ٨٦.

والفرق المخالفة لهم في الأبواب المتقدمة ترجع إلىٰ خمسة رؤوس: الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والجهمية.

وأهل السنة هم الوسط في أهل الإسلام، قال ابن تيمية: (وأما أهل السنة فهم أقل اختلافاً في أصول دينهم من سائر الطوائف، وهم أقرب إلىٰ كل طائفة من كل طائفة إلىٰ ضدها، فهم الوسط في أهل الإسلام كما أن أهل الإسلام هم الوسط في أهل الملل: هم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، وقال ﷺ: «**خير الأمور أوسطها**» وحينئذ أهل السنة والجماعة خير الفرق.

وفي باب القدر بين أهل التكذيب به وأهل الاحتجاج به، وفي باب الأسماء والأحكام بين الوعيدية والمرجئة، وفي باب الصحابة بين الغلاة والجفاة) منهاج السنة ٣/ ٤٦٩

فمن قال بأصول أهل السنة في الأبواب المتقدمة ـ وإن أخطأ في فرع من فروعها ـ وسلم من هذه الأهواء المذكورة فهو من أهل السنة والجماعة وهو سلفي مستحق للمدح ناج من الذم من هذه الجهة في دين الله، وهي أصول واضحة في الوحي المنزل، ودلالاتها آيات بينات ونصوص واضحات كما وصفها الله في القرآن كثيراً وليس هذا موضع بسطها ومن خير

الكتب التي أجملتها (الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن وقع في فرع من فروع البدع ولم يقم بأصل من أصولها فإنه لا يخرج من جملة أهل السنة إن وافقهم في جملة ما يقولون، قال شارح الطحاوية (وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع من فروعها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير) ص٤٣٩ عند قوله: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة. ).

ومع ذلك فإنه ليس كل من خالفهم يجب أن يكون هالكاً (فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك، فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجياً وقد لا يكون ناجياً، كما يقال من صمت نجا) ابن تيمية المجموع ٣/١٧٩

فهذه هي السنة، وهذه هي السلفية، أصول علمية وقواعد كلية، دل عليها الكتاب والسنة، تُظهر للناس وتُشاع فيهم، فمن دان بها فهو سلفي، ولا يجوز الحكم علىٰ أحد بذم شرعي بأسماء محدثة، ولا تخصيص قوم بالحكم علىٰ العباد بذم أو مدح شرعي، بناءً علىٰ أذواق وممارسات خاصة بهم، فإن هذا من أصول الضلال واتباع الهوىٰ.

والظاهر ـ والله أعلم أنه ـ أيضاً ـ من أعظم أسباب الغلط في هذا الباب، ظن المخطئين فيه، أن مدلول لفظ السلفية أخص من مدلول لفظ أهل السنة والجماعة، ثم هذه الخصوصية ليس لها ضوابط شرعية مطردة، فهي تختلف باختلاف آراء المتنازعين في مسائل من العلم ليست من أصول الدين، التي كان أهل السنة يفارقون بسببها أهل الأهواء.

بل تارة تكون من مسائل الاجتهاد كدخول المجالس النيابية ووسائل الدعوة والموقف من الجماعات. إلخ، وتارة من جنس فروض الكفايات كالذي يشتغل بعلم الحديث وآخر بتتبع الفكر العلماني ـ مثلاً ـ والرد عليه، وتارة قد تكون من الخطأ في العلم، لكن هو من جنس الخطأ في فروع الدين الذي لا يخرج صاحبه من أهل السنة، كالذي يحل ما حرم الله متأولاً، كالقول بجواز التمثيل ونحو ذلك، ومعلوم أنه كان في أصحاب

الأئمة الأربعة من أهل السنة من يخطىء فما هو أعظم من ذلك كما تقول الحنفية في شرب النبيذ وعند غيرهم من المسائل ما هو معروف ومشهور.

والمقصود أنه يطلق من يذهب إلىٰ ترجيح رأي علىٰ آخر فيما هو من جنس الأبواب المتقدمة، أو يشتغل بقضايا معينة من العلم، فيضفي عليه ذلك أوصافاً مخصوصة، لفظ السلفية علىٰ من يوافقه، ويخرج من يخالفه من مدلول اللفظ.

وليس الأمر إلىٰ ها هنا بضائر، لو أن الانتساب بقي كالانتساب إلىٰ ما يسوغ الانتساب إليه من الألفاظ، كالمذاهب الأربعة وغيرها.

لكنهم ظنوا أن السلفية بهذا المدلول الخاص من أسماء المدح الشرعية، إذ كان لها في الأصل مدلول عام محمود بإطلاق، وليس مخصوصاً بإمام من أئمة المسلمين كأحمد والشافعي وغيرهما، فأدىٰ هذا إلىٰ الاشتباه بين مدلولها في الأصل الذي يطابق مدلول لفظ أهل السنة والجماعة، وبين ما يريدونه من ذلك المدلول الأخص.

لما ظنوا ذلك اقتضى أن من يخرجونه منه، مذموم شرعاً من هذا الوجه، وداخل تحت اسم أهل البدع، وهو من أسماء

الـذم الشرعية العظيمة في الدين فإن جنس البدع أعظم الذنوب بعد الشرك.

ثم أنزلت علىٰ ذلك الألفاظ الشرعية كهجر المبتدع، وحماية الدين، والذود عن السنة وفضح أهل الأهواء. إلخ.

وغير الشرعية ـ أعني التي لم ترد في الشرع بألفاظها وإن كانت قد تحتمل معاني صحيحة شرعاً ـ مثل تمييع السلفية، تلميع المبتدعة، والحزبية. إلخ.

وأُدخل كثيرٌ من الناس من صالحي الأمة وأهل العلم والفضل والدعوة تحت هذا كله، وجرىٰ بسبب ذلك من الخلاف والتنازع والشقاق واستحلال الأعراض ما لا يرضى الله سبحانه ولا يحل في دينه، وليس تحت كثير منه ـ في الحقيقة ـ إلا نزاع لفظي، أو ما يجري مجرىٰ اختلاف التنوع، أو هو كسبيل تفرق المسلمين في القيام بفروض الكفايات المختلفة، أو التنافس في أبواب الخير المستحبة المتنوعة كلٌ فيما هو ميسر له، أو قل الخطأ في مسائل من العلم التي ليست من الأصول التي من خالفها خرج من السنة وإن عظمت.

وصار كثير من صغار الطلبة ـ كما يقال ـ ضحية هذا المفهوم الخاطىء ـ يتدينون به كأنه قرآن منزل، ويصنفون الناس علىٰ

أساسه، مع ما يدخل في ذلك من الأهواء وحظوظ النفوس، فيصلون هذا ويعظمونه لأنه يرى أن وسائل الدعوة توقيفية والجماعات فرق ضالة والجماعة الفلانية ضالة منحرفة خارجة عن المنهج السلفي. إلخ فهو سلفي، ويقطعون ذاك ويهجرونه ويذمونه ويستحلون من عرضه ما لا يستحلون من الأول لأنه يخالفهم فيما هو مثل المسائل المتقدمة، وقد يكون الأخير خيراً وأفضل وأجل في العلم والعمل من الأول في ميزان الكتاب والسنة.

وأما من يخالفهم في لفظ الانتساب إلىٰ السلفية، فتلك الطامة الكبرىٰ والباقعة العظمى، التي لا يُقبل معها صرف ولا عدل، وأما ما وراء ذلك من المخطئين في مسائل من العقيدة من أئمة الأمة فيا ويحهم بين حاذف وقاذف.

ويا لله، كم ضاع في هذه الزوبعة من المقبلين علىٰ التوبة والصلاح وطلب العلم، وكم هم الذين علىٰ إثرهم إلا أن يشاء الله، تلك والله هي الفتنة وقىٰ الله شرها.

وإنـه ليسع المسلم إذا تمسك بأصول أهل السنة، أن ينصرف عن هذا كله ويعمل بـ (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، ومن أراد سبيل طلب العلم فهو طريق مهيع

وصراط مستقيم، فليتعلم القرآن ترتيلاً وتفسيراً، والتوحيد واعتقاد أهل السنة من كتب السلف، والحديث والفقه باباً باباً، ويضبطهما بأصولهما وقواعدها، والنحو واللغة، يتدرج ولا يتعجل، ويحكم الأصول قبل الفروع، ويتخلق بآداب العلم، ويراقب الإخلاص واستحضار النية والعمل بالعلم ويحاسب نفسه في ذلك، ويسأل الله التوفيق، اللهم وفقنا بتوفيقك.

## دعواه أن إفراد توحيد الحاكمية بقسم أمر محدث أريد به قتل توحيد الله ونسبة هذا القول إلى علماء الأمة

قوله، وقد سئل عن تقسيم التوحيد إلىٰ أربعة أقسام منا توحيد الحاكمية (ذكرنا هذا وذكر علماؤنا بأن هذا محدث، أرادوا به قتل توحيد الألوهية فأبدلوه بالحاكمية)[1]

التعليــق:

تضمن جوابه هذا أمرين:

**الأول**: الحكم علىٰ تسمية أحد أنواع التوحيد (بتوحيد الحاكمية)، بأنه محدث وسياق كلامه سياق الذم، والمُحدث هنا هو البدعة الشرعية، وفي الحديث الصحيح: «**شر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**» رواه مسلم.

**الثاني**: أن الذين ابتدعوه أرادوا به قتل توحيد الألوهية.

والأول لا يتوافق مع تعريف العلماء للبدعة الشرعية،

---

(١) ص ١٢٠

والثاني يلزم منه تكفير لطائفة من المسلمين بغير حق ولا علم، فإن من يريد قتل توحيد الألوهية، الذي هو الإسلام، كيف يكون مسلماً؟

أما الجواب علىٰ الأول:

فليس هذا موضع بسط الكلام علىٰ البدعة والإحداث في الدين، ويكفي الإلزام بأن كل من قسم التوحيد والشرك إلىٰ أقسام وسمى كل قسم باسم من عنده يناسب ما ينتظم تحته من النصوص الشرعية التي تتنوع دلالاتها علىٰ أنواع التوحيد والشرك، أنه قد أحدث في الدين، بل وكل تقسيم في علوم الشريعة لم يرد فيه نص.

وذلك لأنه ليس في القرآن ولا في السنة تقسيم التوحيد إلىٰ أقسام وذكر كل قسم باسم يناسبه، وإنما فيه النصوص التي تدل علىٰ أنواعه، فأخذ العلماء تلك الأنواع وجعلوا لها تقسيماً وخصوا كل قسم باسم يناسبه ليسهل تعلمه، ولهذا فإن منهم من جعل القسمة ثلاثية ومنهم من جعلها ثنائية، كما قال ابن قاسم في حاشيته علىٰ كتاب التوحيد (وأقسام التوحيد ثلاثة، وذكرها ثم قال وإن شئت قلت كما قال ابن القيم وغيره التوحيد نوعان توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في الطلب والقصد) هذا مع أن للإمام محمد بن عبدالوهاب تقسيماً من وجه آخر،

وهـو أنه يجعله نوعين، توحيد الربوبية ويدخل فيه إثبات الأسـماء الحسنى، وصفات الكـمال وهو العلمي، وتوحيد الألوهية وهو الطلبي الإرادي[1]

وربما جعل بعضهم الربوبية داخلاً في الأسماء والصفات، وذلك لأن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة فالربوبية مستلزم للألوهية وهو منه كالمقدمة للنتيجة، أما الألوهية فهو متضمن للربوبية، وأما توحيد الأسماء والصفات فإنه شامل للنوعين السابقين، فلو جعلت القسمة رباعية، وأفرد ما يدخل تحت قسم من أقسامه بقسم جديد، كما فعل من جعل توحيد الحاكمية قسماً رابعاً لكان سائغاً لا إشكال فيه، وذلك نظير جعل القسمة ثلاثية بإفراد توحيد الأسماء والصفات بقسم بعد أن أخـرجـه من التـوحيد العلمي، أو التوحيد في المعرفة والإثبات، مبالغة في العناية به لعموم وقوع البلوى بضده، وكذلك توحيد الحاكمية، فلا وجه لجعله من الإحداث في الدين.

أما أن من قسم هذا التقسيم أراد قتل توحيد الألوهية! فكيف يفهم هذا والفرض أنه جعل القسمة رباعية ومقتضاه

---

(١) انظر في هذا التقسيم (عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها على العالم الإسلامي) صالح العبود ١٩٢

أنه ذكر الألوهية قسماً مستقلاً؟، فليس في الدلالات اللفظية ما يدل علىٰ ما ذكر المحاضر فهل هناك من صرح بهذا؟ أم أنه محض الرجم بالغيب، مع أنه لا يوجد في الأرض أكفر ممن يريد قتل توحيد الألوهية، وقد دخل في حكمه هذا طائفة عظيمة من أهل العلم والسنة.

ولا ريب أن التحاكم إلىٰ الله وحده من أصل التوحيد، ومن أعظم ما دلت عليه كلمة الإسلام العظيمة، كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله).

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: (الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنىٰ واحد لا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله وتشريعاً غير تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن ولا فرق بينهما البتة، بوجه من الوجوه فهما واحد وكلاهما مشرك) أضواء البيان ١٦٢٠/٧

وقال رحمه الله: (فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها الله تعالىٰ صفات من له الحكم والتشريع، قوله تعالىٰ: **﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلىٰ الله﴾** ثم قال مبيناً صفات من له الحكم: **﴿ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب فاطر**

**السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، ومن الأنعام أزواجاً، يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أنه بكل شيء عليم﴾** [الشورىٰ: ١٠-١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض له الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومخترعهما، علىٰ غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجاً. ؟

فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم ولا تقبلوا تشريعاً من كافر خسيس حقير جاهل.

ومن الآيات الدالة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: **﴿له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً﴾** [الكهف: ٢٦]، فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السموات والأرض؟ وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبكل المبصرات؟ وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟ سبحانه وتعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً.

ومن الآيات الدالة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**ولا تدع مع الله إلٰهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون**﴾ [القصص: ٨٨].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإلٰه الواحد وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟ تبارك ربنا وتعاظم وتقدس أن يوصف أخس خلقه بصفاته.

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿**أن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين**﴾ [الأنعام: ٥٧].

فهل فيهم من يستحق أن يوصف بأنه يقص الحق، وأنه خير الفاصلين؟

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿**قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالاً وحراماً قل آللّه أذن لكم أم علىٰ الله تفترون**﴾ [يونس: ٥٩].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي ينزل الرزق للخلائق، وأنه لا يمكن أن يكون تحليل ولا تحريم إلا بإذنه؟ لأنه من الضروري أن من خلق الرزق وأنزله هو الذي له التصرف فيه بالتحليل والتحريم؟

سبحانه جل وعلا أن يكون له شريك في التحليل والتحريم) أضواء البيان ١٦٣/٧ـ١٦٨ باختصار.

وقال الإمام العلامة محمد بن إبراهيم: (وتحكيم الشرع وحده دون ما سواه، شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن يكون الله هو المعبود وحده لا شريك له، وأن يكون رسول الله ﷺ هو المتبع المحكم ما جاء به فقط، وما جردت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك والقيام به فعلاً وتركاً وتحكيماً عند النزاع) فتاوىٰ ابن إبراهيم ١٢/ ٢٥١

وكان رحمه الله يصرح بتكفير مُحَكِّمة القوانين قال رحمه الله: (القوانين كفر ناقل عن الملة، اعتقاد أنها حاكمة وسائغة، وبعضهم يراها أعظم، فهؤلاء نقضوا شهادة أن محمداً رسول الله، ولا إلٰه إلا الله أيضاً نقضوها، فإن من شهادة أن لا إلٰه إلا الله، لا مطاع غير الله، كما أنهم نقضوها بعبادة غير الله.

وأما الذي قيل أنه كفر دون كفر، إذا حاكم إلىٰ غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها، أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل، ففرق بين المقرر والمثبت والمرجع، جعلوه هو المرجع، فهو كفر ناقل عن الملة).

وقال رحمه الله: (فمن اتخذ مطاعاً مع الله فقد أشرك في الرسالة والألوهية، وهذان الواحد منهما كفر، بخلاف المسألة الواحدة فإنها ليست مثل الذي مصمم ومحكم فإن هذا مرتد، وهو أغلظ كفراً من اليهودي والنصراني) فتاوىٰ محمد بن إبراهيم ١٢/ ٢٨٠

وقد سمى الله المتحاكم إليه من دون الله طاغوتاً قال تعالىٰ: **﴿ألم تر إلىٰ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾** [النساء: ٦٠].

وقد جعل الله هذا الاسم في القرآن هو الاسم العام لما يتخذ نداً من دون الله من الآلهة الباطلة، وذكر في ثمانية مواضع:

قال تعالىٰ: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ﴾** [البقرة: ٢٥٦].

وقال: **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات﴾** [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿ألم تر إلىٰ الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدىٰ من الذين آمنوا سبيلا﴾ [النساء: ٥١].

وقال: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ [النساء: ٧٦].

وقال: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ [المائدة: ٦٠]. وليس المعنىٰ وجعل منهم من عبد الطاغوت بل المعنىٰ: وشر من ذلك من لعنه الله ومسخ إلىٰ القردة والخنازير وعبدة الطاغوت والله أعلم.

وقال: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦].

وقال: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلىٰ الله لهم البشرىٰ فبشر عباد﴾ [الزمر: ١٧].

ولما ذكر المتحاكم إليه من دون الله سماه الطاغوت ووصفه بأنه الذي أمروا أن يكفروا به في القرآن، وهي المواضع المتقدم ذكرها، فهذا غاية التحذير وبالغ الزجر والتنفير، وربط لقضية الحاكمية بأصل الدين ومَعْقِد الملة.

أفلا يسوغ بعد هذا لمن رأىٰ عموم البلوىٰ التي شاعت في الأرض عامة وفي بلاد المسلمين خاصة من تحكيم من سماها الله بالطواغيت من القوانين، وتعظيمها غاية التعظيم، وإنزالها منزلة الشرع الحكيم، بل أعظم منه في قلوب كثير ممن يعبدها، أفلا يسوغ له أن يعتني ببيان هذا الأصل العظيم من أصول الدين وهو عبادة الطاعة، والطاعة من أصل معنىٰ العبادة فإن أصل معناها غاية الحب بغاية الذل والخضوع.

ولهذا فإن الله تعالىٰ في القرآن يذكر أفراد التحاكم إليه، ويعطف عليه إفراده بالعبادة كما قال: ﴿**إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم**﴾ [يوسف: ٤٠]، ويذكر العكس كما قال: ﴿**وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولىٰ والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون**﴾ [القصص: ٧٠]، وهذا هو أصل من أفرد الحاكمية بقسم خاص، اتباعاً للقرآن.

ولهذا كله فإن أهل العلم المحققين لا ينكرونه، ولأن غاية الخلاف فيه أن يكون خلافاً لفظياً، وقد نقل الشيخ المحدث العلامة ناصرالدين الألباني هذا القسم مستحسناً له قال حفظه الله: (وهو أنهم في الوقت الذي علموا فيه ـ بفضل جهود وكتابات بعض الكتاب الإسلاميين، مثل سيد قطب رحمه الله والعلامة المودودي حفظه الله وغيرهما، أن حق التشريع إنما

هو لله تعالىٰ وحده لا يشاركه فيه أحد من البشر أو الهيئات، وهو ما عبروا عنه بـ [الحاكمية لله تعالىٰ] الحديث حجة بنفسه ٨٥.

بقي أن يذكر المحاضر الفاضل - عفا الله عنه - العلماء الذين صرحوا بأن هذا القسم حدث في الدين أريد به قتل توحيد الله، فإن الأمر - كما تبين مما تقدم - أعظم من ذكر ألفاظ ضخمة لاستمالة قلوب السامعين، وإيهامهم أنه لا يخرج عما قرره (علماؤنا[1])، لأنه يتعلق بأصل الدين، فمن من علماء الأمة صرح بهذه المقالة الشنيعة (محدث أرادوا به قتل توحيد الألوهية)؟

---

(١) عبارة المحاضر.

## إخراجه غير السلفيين من الأمة الاسلامية:

قوله: (أنا قلت مراراً ناقلاً حديث رسول الله ﷺ بأن هذه الأمة ستنقسم لا محالة، إذن نقصد بالأمة هي الأمة الكاملة بمعنى هم أهل السنة، هم الذين عناهم ربنا سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾، هؤلاء الذين نريد، أما أهل الأهواء والفرق والانحرافات فهؤلاء لا يريدون منا حديثاً ولا نريد أن نكثر سوادهم ولا يكثرون سوادنا.

إذن هؤلاء الأمة المقصودة هم أهل السنة والجماعة، هم عموم المسلمين الذين ليس لهم مذهب عقائدي أو طريقة ينتسبون إليها إلا طريق السنة التي كان عليها النبي ﷺ، هم سواد المسلمين الخلص، هؤلاء الناس هم الذين يعز الله بهم الدين ويذل أعدائه جل وعلا، وهم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله: «**تركتكم علىٰ البيضاء ليلها ونهارها سواء لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، وهم المقصود بهم الجماعة الذي أخبر عندما أخبر بحديث الفرق وبين أن هذه الأمة سوف تفترق علىٰ

ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة فما سئل عنها قال ما أنا عليه وأصحابي.

إذن هذه هي الأمة كيف نحميها من الخطر؟) انتهى[1]

التعليـــق:

**أولاً**: جعله الأمة هي (أهل السنة والجماعة)، يلزم منه إخراج من لا يدخلون تحت هذا الاسم من الأمة، ومعلوم أن الأمة هنا هي أمة محمد ﷺ، أمة الإسلام.

وظاهر كلامه يدل علىٰ هذا فإنه استدل بالحديث علىٰ أنه يريد بالأمة (أهل السنة والجماعة) والحديث ذكر الثنتين وسبعين فرقة المفارقة لأهل السنة.

واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿**وأن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ - وإن كان الاستدلال في غير موضعه كما سيأتي - علىٰ أن الأمة هي أهل السنة والجماعة، فـ (أمتكم) أي - علىٰ فهم المحاضر - هذه الأمة، أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

ولهـذا قال بعـد ذلـك: (وأمـا أهـل الأهـواء والفـرق والانحرافات فهؤلاء لا يريدون من حديثاً ولا نريد أن نكثر سوادهم ولا يكثرون سوادنا).

---

(١) ص١٠٣

واستدل أيضاً بحديث: «**لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**» علىٰ أن غير أهل السنة والجماعة هالكون، وإذا كانوا ـ كما يفهم من مجموع كلامه ـ، ليسوا من الأمة، ولا يدخلون في قوله: ﴿**وأن هذه أمتكم**﴾، وهالكون فـ(لا يريدون منا حديثاً ولا نريد أن نكثر سوادهم ولا يكثرون سوادنا)، ولا يريد أن يحميهم من الخطر.

ثانياً: أما الآية فعامة المفسرين علىٰ أن المعنىٰ فيها: أن هذا دينكم دين واحد، كما تحكيه كتب التفسير عن ابن عباس ومجاهد، قال الطبري يقول الله تعالىٰ: (إن هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم فاعبدون دون الآلهة والأوثان) ثم قال: (وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل) ولم يورد غير ما ذكر في تفسيرها، وكذا في الدر المنثور عن السلف، وقال الشوكاني: (والأمة الدين كما قال ابن قتيبة: إنا وجدنا آباؤنا علىٰ أمة، أي دين، كأنه قال إن هذا دينكم دين واحد لا خلاف بين الأمم المختلفة في التوحيد، ولا يخرج عن ذلك إلا الكفرة المشركون بالله وقيل المعنىٰ: إن هذه الشريعة التي بينتها لكم في كتابكم شريعة واحدة، وقيل المعنى، إن هذه ملتكم ملة واحدة وهي ملة الإسلام) وهذا من باب اختلاف التنوع، وقال ابن كثير: (أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة).

ولفظ الأمة في القرآن له أربعة استعمالات كما في أضواء البيان للشنقيطي:

الأول: البرهة من الزمن.

الثاني: الجماعة من الناس.

الثالث: الرجل المقتدىٰ به.

الرابع: الشريعة والطريقة.

ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**ولئن أخرنا عنهم العذاب إلىٰ أمة معدودة ليقولن ما يحسبه**﴾ في سورة هود، وفسر آية الأنبياء السابقة بمثل ما ذكر المفسرون.

فكان الأجدر بالمحاضر الفاضل أن يرجع إلىٰ بعض التفاسير السلفية قبل أن يتكلم في تفسير كتاب الله ـ في باب عظيم مثل هذا الباب ـ بغير علم، فإن هذا من المنهج السلفي.

**ثالثاً:**

المشهور عن أهل العلم أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام تطلق ويراد بها أمة الدعوة وهم الذين بعث إليهم، مؤمنهم وغير مؤمنهم، كما يقال أمة صالح وأمة هود، أي القوم الذين بعث فيه النبي ﷺ.

وتطلق ويراد بها أمة الإجابة وهم أهل القبلة المسلمون، الذين لم يخرجوا عن الملة وإن وقعوا في المعاصي والبدع التي لا تخرجهم من الإسلام قال ابن تيمية رحمه الله: (ولا يلزم إذا كان القول كفراً أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل، فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في الآخـرة في حقـه، وذلك له شروط وموانع كما بسطناه في موضعه، وإذا لم يكونوا كفاراً لم يكونوا منافقين فيكونون من المؤمنين فيستغفر لهم ويترحم عليهم، وإذا قال المؤمن: (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا في الإيمان) يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوله فخالف السنة، أو أذنب ذنباً فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان فيدخل في العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً بل مؤمنين، والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام بل جعلهم أمته، ولم يقـل أنهم مخلدون في النار، فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته) منهاج السنة ٥/ ٢٤١

فكل من وقع في بدعة أو انحراف عن السنة لا يخرجه عن الإسلام، فإنه من أمة محمد ﷺ، وله من الولاء وأخوة الإسلام بحسب ما عنده من الإيمان.

هذا وقد ذكر الله تعالىٰ هذا الأصل العظيم ـ أعني أن هذه الأمة يدخل فيها الظالم لنفسه ـ في قوله تعالىٰ: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات**﴾ والذين اصطفاهم هي هذه الأمة، هم الذين ورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارىٰ، وجعل منهم الظالم لنفسه سواء كان من أهل الشهوات أو الشبهات، كما تقدم.

ومما ينبغي أن يعلم أنه ربما كان المخطىء في المسائل العملية: (وهي الشهوات) أعظم إثماً من المخطأ في المسائل العلمية (وهي الشبهات)، وربما كان هذا الأخير أفضل من الأول إذا كان له من العمل الصالح ما يجعل له عند الله وعند المؤمنين قدم صدق ترفعه علىٰ الأول، وهو كثير في الأمة.

وأن هذه الأمة وقع فيها الشر والفساد، والشهوات والشبهات، لكن ما فيها من ذلك أقل مما في غيرها، قال ابن تيمية: (ومما ينبغي أن يعلم أن الله تعالىٰ بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الناس علىٰ غاية ما يمكن من الصلاح لا لرفع الفساد بالكلية، فإن هذا ممتنع في الطبيعة الإنسانية، إذ لا بد فيها من الفساد، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**

**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾** ولهذا لم تكن أمة من الأمم إلا وفيها شر وفساد. وأمتنا خير الأمم وأكرمها على الله وخيرها القرون الثلاثة وأفضلهم الصحابة، وفي أمتنا شر كثير لكنه أقل من شر بني إسرائيل وشر بني إسرائيل أقل من شر الكفار الذين لم يتبعوا نبياً كفرعون وقومه. ) منهاج السنة ٦/ ١٥٠

وكل من مات على الإسلام وكلمة التوحيد، وبقي معه أصله لم ينقض، فإنه يحشر يوم القيامة مع أمة محمد ﷺ، ويكون معها فإن النبي ﷺ ذكر أن كل أمة تتبع معبودها يوم القيامة إذا حشر الأمم جميعاً، وتبقى هذه الأمة فيأتيهم الله ويتبعونه فهؤلاء هم المسلمون أمة محمد ﷺ، وذكر عليه الصلاة والسلام أنه أول من يجيز بأمته الصراط وأن منهم من تلقي به كلاليب الصراط إلى النار ومنهم من ينجو وأن الشافعين يشفعون لمن دخل النار، والنبي ﷺ أعظم الشافعين ذلك اليوم وذلك كله في الصحيح، وفيه واللفظ للبخاري: (فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فانطلق فافعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد.

ثم أخر ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي، . الحديث وفيه: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إلٰه إلا الله، قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إلٰه إلا الله».

كان عليه الصلاة والسلام شفيقاً علىٰ أمته، رؤوفاً رحيماً، بكى عندما تلا قوله تعالىٰ: ﴿**رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني، فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم**﴾، وقال عيسى عليه السلام: ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾، ورفع يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي**» فقال الله عز وجل لجبريل: «**اذهب إلىٰ محمد، وربك أعلم فسله ما يبكيك**؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله: **يا جبريل! اذهب إلىٰ محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**» رواه مسلم.

وكان لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له، وأما نبينا (بأبي هو وأمي) فإنه قال: «**وإني اختبأت دعوتي شفاعة**

**لأمتي يوم القيامة»** رواه مسلم، وجعلها عليه الصلاة والسلام لمن دخل النار منها، وقال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» رواه الترمذي.

وقال: «**فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أُمتي لا يشرك بالله شيئاً**» رواه مسلم.

وذلك لأنه ﷺ كان يقول: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد**» رواه النسائي وغيره، وقرأ أبيّ «**الرسول أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم**» رواه الطبري وأورده ابن كثير في تفسيره.

وإذا كان النبي ﷺ الذي هو بمنزلة الوالد لهذه الأمة، قد جعل كل من يموت علىٰ كلمة التوحيد، من أهل الكبائر دون الشرك، من أمته، وكان يخاف عليهم من الخطر الأعظم يوم القيامة، ويبكي في الدنيا خوفاً عليهم، ويختبىء جائزته التي جعلها الله لكل نبي لهم.

فكيف يحل للمحاضر الفاضل ـ عفا الله عنه ـ أن يدعي أنهم ليسوا من الأمة، وليس بيننا وبينهم حديث، ولا يكثرون سوادنا، ولا شأن لنا في حمايتهم من الخطر؟

بل كما قال عليه الصلاة والسلام: **«من صلىٰ صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»** رواه مسلم.

إنه المسلم، الذي **«إذا كان يوم القيامة دفع الله إلىٰ كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار»** رواه مسلم، والذي يحمل عنوان السعادة الأبدية (لا إله إلا الله)، التي لو وزنت معها السموات والأرضون لرجحت، ولو كانت السموات والأرضون حلقة مبهمة فصمتهن.

وأيضاً فإن المسلم، حتىٰ لو عوقب لبدعة ابتدعها أو معصية اقترفها، فإنما يكون ذلك تأديباً وإحساناً إليه، ورحمة له، قال ابن تيمية رحمه الله: **(ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس علىٰ الذنوب أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة لهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾** قال أبو هريرة: «كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل تدخلونهم الجنة»، أخبر أن هذه الأمة خير الأمم لبني آدم: فإنهم يعاقبونهم بالقتل والأسر، ومقصودهم بذلك الإحسان إليهم، وسوقهم إلىٰ كرامة الله ورضوانه، وإلىٰ دخول

الجنة، وهكذا الرد علىٰ أهل البدع وغيرهم: إن لم يقصد فيه بيان الحق، وهدي الخلق، ورحمتهم والإحسان إليهم، لم يكن عمله صالحاً، وإذا غلظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها، وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيراً، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله، للرحمة والإحسان، لا للتشفي والانتقام.

كما هجر النبي ﷺ أصحابه الثلاثة الذين خلفوا لما جاء المتخلفون عن الغزاة يعتذرون ويحلفون وكانوا يكذبون، وهؤلاء الثلاثة صدقوا وعوقبوا بالهجر، ثم تاب الله عليهم ببركة الصدق) انتهى. منهاج السنة ٥/ ٢٣٩

والمقصود أن من لا ينقض الشهادتين هو من الأمة ولو عوقب، فإن عقوبته للإحسان إليه، وأما أن يقال لأهل البدع من الأمة إنكم ليسوا منا ولا نريدكم ولا نريد أن نتحدث معكم، ولا نريد أن نحميكم من الخطر، فكيف تكون رحمتهم والإحسان إليهم مع هذا؟

هذا ولا يلزم مما تقدم أن لا تُنكر البدع، بل هي أعظم ما يجب إنكاره من المنكرات بعد الشرك، وجنس البدع أعظم إثماً، وأشد ضرراً علىٰ الأمة من جنس المعاصي، والقيام

بإنكارها، والتحذير منها من أعظم الجهاد في سبيل الله، لكن ذلك يكون بميزان الشرع فيجمع بين إنكارها وبين حفظ حقوق العباد، كما يفعل في إنكار الفواحش والموبقات، لا يُتجاوز في شيء من ذلك حدود الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن قيام إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل بإنكار بدع الجهمية (بل كان يعتقد إيمانهم، وإمامتهم ويدعو لهم، ويرىٰ الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره ويجاهدهم علىٰ رده بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة، وإن كانوا جهالاً مبتدعين وظلمة فاسقين) مجموع الفتاوي (٧/٥٠٧).

مع أن هذا كله في أهل البدع الذين هم أهل البدع، من الثنتين وسبعين فرقة الذين ورد فيهم الوعيد، وأما من وقع في بدعة ما، ولم يكن رأساً في ضلالة، داعية إليها، ككثير من المنتسبين إلىٰ ما يسمى هذه الأيام بالجماعات الإسلامية، وفي بعضهم ما فيه من الانحراف عن السنة، مع ما يكون فيه

من الخير والدعوة إلىٰ الدين، وجهاد الملحدين، والانتصار للسنة، فإن الأمر أهون والخطب أيسر إن شاء الله.

والمحاضر الفاضل جعل الجماعات الإسلامية ما هي إلا الفرق القديمة بعد أن قرر رأيه الذي ارتآه في تفسير الأمة، فأنتج ذلك نتيجة خطيرة علىٰ الدعوة، ستعقب ـ لو نصره علىٰ رأيه طائفة وقامت به ـ فساداً عظيماً، وكل من أوتي فقهاً في مقاصد الدين وتصور هذا القول تصوراً تاماً فإنه يمجه أعظم مما يمج الملح الأجاج.

وفيما يلي التعقيب علىٰ كلامه في الجماعات.

# (جعله الجماعات الاسلامية من الفرق الضالة وأهل الافساد في الأرض وغير ذلك من الأوصاف الذميمة ودعوته إلى عدم التعاون معهم إلا في الضرورة)

قوله: (هؤلاء المصلحون أو أرباب الجماعات الإسلامية، الذين ورثوا أو تحولت الأمة في فترة، خاصة في البلدان العربية من طرق صوفية ومذاهب فقهية إلىٰ جماعات تقود الأمة نحو الخلاص وتمني الأمة بعودة الخلافة، والوصول إلىٰ الحكم.

لكنهم انحرفوا بأنهم أخذوا منهج الخلف وعقيدتهم وتركوا منهج السلف وعقيدتهم، هذه هي السمة الأساسية للجماعات الدعوية التي قامت في فترة الثلاثين سنة الماضية، وأنا أقصد التي قامت ولا أقصد السلفية، .ثم قال:

ترتب علىٰ أخذ هذه الجماعات بمذهب الخلف من أشاعرة

ومعتزلة وما إلىٰ ذلك وتربية صوفية، ترتب علىٰ ذلك أن هذه الجماعات قاطبة ولا أستثني منها أحداً، وأكرر بأن السلفية ليست داخلة، لم تنشأ وإنما هي قديمة، أخذ هؤلاء بعقيدة الخلف من معتزلة وأشاعرة وخوارج وقدرية وجهمية وقس عليه ما شئت، ترتب علىٰ ذلك أن رسخ الخلاف، لأن تحول الخلاف من خلاف مذهب إلىٰ خلاف حزبي، فتفرقت الأمة، من جديد، بس بتقسيمة أخرىٰ.

فما أصبحت تقال هذيل أشاعرة وهؤلاء معتزلة لأن الأشاعرة والمعتزلة والماتردية دخلوا هذه الجماعات، فأصبحنا نقول هذا كذا وهذا كذا وهذا كذا) انتهىٰ[1]

وقوله وقد سئل عن التعاون بين السلفيين وغيرهم من الجماعات: (الأصل في التعاون في الضرورات، فإذا احتاج السلفي في عمله إلىٰ تعاون مع جمعية أخرىٰ من غير أن يخل بمنهجه وعقيدته فلا حرج كضرورة يلجأ إليها، وإلا فالأصل تمايز الصف السلفي عن غيره من بقية الصفوف وهذا أنفع وأريح وأهدأ) انتهى[2]

---

(١) ص١٠٨

(٢) ص١١٩

التعليـــق:

ويشتمل علىٰ الكلام في أمرين:

**الأول**: الحكم علىٰ الجماعات الإسلامية، مما يدخل في باب الأسماء والأحكام، هل هم من الفرق الضالة مطلقاً؟ أم من أهل السنة مطلقاً؟ أم يجري فيهم التفصيل الذي يجري في الطوائف التي تجمع آراء شتى فيما يسمى ـ بأصول الدين ـ كالشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية أحياناً والصوفية أحياناً ونحوها من الطوائف.

وهل يحكم بأن عوام المسلمين الذين لا ينتمون إليهم خير من أتباع هذه الجماعات مطلقاً؟ وما هو كلام أهل العلم المعاصرين في هذا الباب.

**الثاني**: الحكم الشرعي في التعاون بين الجماعات علىٰ مقتضى قواعد الفقهاء وأهل العلم.

ولعل من المناسب أن يُبدأ أولاً بنقل كلام بعض أئمة العلم المعاصرين في الجماعات والحث علىٰ التعاون بينها، وإصلاح ذات البين والتناصح فيما بينها بالحكمة والموعظة الحسنة والحكم عليها باعتدال وإنصاف.

١ـ فتوىٰ اللجنة الدائمة برئاسة الإمام عبدالعزيز بن باز، جاء في الفتوىٰ، بعد السؤال التالي: «الجماعات والفرق الموجودة الآن أقصد بها جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ وجماعة أنصار السنة المحمدية. إلخ، هل ينطبق عليها حديث حذيفة فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك رواه مسلم).

والجواب: كل من هذه الفرق فيها حق وباطل وخطأ وصواب وبعضها أقرب إلىٰ الحق والصواب وأكثر خيراً وأعم نفعاً من بعض، فعليك أن تتعاون علىٰ ما معها من الحق وتنصح لها فيما تراه خطأ، ودع ما يريبك إلا ما يريبك) ووقع علىٰ الفتوىٰ أيضاً الشيخ عبدالرازق عفيفي، وعبدالله بن غديان، وعبدالله بن قعود. فتاوىٰ وكلمات (ص/١١٣).

٢ـ قال الإمام عبدالعزيز بن باز حفظه الله: (هذه الحركات كان للشباب فيها دور كبير وأفعال مؤثرة تدعو للتبصير والمؤازرة إلا أن بعضها وخاصة في بعض الدول الإسلامية قد تعرض لكبت والمضايقة والاضطهاد والملاحقة وبعضها استمر في أداء الدور الذي تنادي به تعاليم الإسلام.

وقد كان لهذا النوع وما زال الأثر الطيب بحمد الله في إصلاح أوساط الشباب وإقامة كثير من المجتمعات علىٰ جادة الحق والهدىٰ في داخل العالم الإسلامي وخارجه عن طريق الكتاب الإسلامي والمنبر والمحاضرات والمخيمات والمعسكرات الإسلامية. ) كتاب فتاوىٰ وكلمات في الموقف من الجماعات (ص/١٠٢).

٣ـ وقال حفظه الله: (وما هذه الحركات الإسلامية التي تنبع من الشباب في كل بلدٰ إلا عودة جديدة لدين الإسلام) فتاوىٰ وكلمات (ص/٩٩).

٤ـ وقال حفظه الله: وقد وجه له إبراهيم الحصين سؤالاً يقول فيه ـ شارحاً ما حصل من هجوم علىٰ جماعة الدعوة والتبليغ من بعض الأفراد في المدينة ـ (وفي هذه الأيام لعب الشيطان والهوىٰ ببعض الأفراد في المدينة هداهم الله، فشنوا الغارة عليهم وصرفوا جهودهم وأوقاتهم في مشاغبتهم وسبهم والتحذير منهم، والتشويش عليهم حتىٰ بلغنا أنهم اتصلوا ببعض شباب هداهم الله علىٰ أيدي الجماعة وصاروا يحافظون علىٰ الصلوات ويتمسكون بالسنن فقالوا لهم إن بقاءكم علىٰ حالكم السابقة من الفجور خير لكم من تأثركم بهذه الجماعة فانتكس بعضهم

والعياذ بالله) قال الشيخ بن باز:

أخبركم أني لا زلت على رأيي في الجماعة المذكورة فيما كتبته عنهم قديماً وحديثاً من الكتابات الكثيرة وما كتبه سلفي شيخنا محمد بن إبراهيم آل الشيخ. ثم قال: أما ما نسبه المعارضون عني من الرجوع عن رأيي فيهم فهو كذب عليّ بل إني نصحتهم ووبختهم على عملهم وقلت لهم فيما قلت متمثلاً بقول الشاعر:

**أقلو عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم**
**أو سدوا المكان الذي سدوا**

وحرضتهم على كثرة الاجتماع بهم والخروج معهم وطلبت منهم أن يتهموا الرأي، وينظروا في العواقب، وبينت لهم مافي انشقاقهم وخلافهم من الشر العظيم، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة وأن ذلك من الشيطان لينصرف الناس عن الدعوة، ويشغلهم عنها بفساد ذات البين وكثرة القيل والقال، هذا ما أدين الله به وأعتقده) فتاوى وكلمات (ص/٦٧).

٥ـ وقال ناهياً عن التعميم في الحكم على الجماعات (النقص من لوازم البشر إلا من شاء الله ولكن لا ينبغي تعميم

كل طائفة أو جماعة بما ينسب إلىٰ ما قد يحدث من بعضها من الخطأ بل ينبغي للمؤمن أن يبذل جهده ووسعه في نصيحة من لاحظ عليه شيئاً من ذلك ولا يبتعد عنه ولا ينفر وهذه طريقة الرسل عليهم السلام وأتباعهم) المصدر السابق ١٦١

٦- قال المحدث العلامة محمد ناصرالدين الألباني: (نحن ماضون لا نعادي طائفة أو جماعة من الجماعات الإسلامية إطلاقاً لأن كل جماعة كما صرحت آنفاً تكمل النقص الذي يوجد عند الجماعة الأخرىٰ) فتاوىٰ وكلمات (ص/ ١٦٠).

٧- وقال: (هؤلاء جماعات أعتقد وجودهم ضروري لأن جماعة واحدة منهم لا تستطيع أن تقوم بكل واجب يفرضه الإسلام علىٰ الجماعة الإسلامية وإنما هذه الجماعات يجب أن تقوم كل منها بواجبها. ) فتاوىٰ وكلمات (ص/ ١٥٩).

٨- وقال العلامة الشيخ محمد الصالح العثيمين عن جماعة التبليغ: (فالذي أرىٰ أنهم بلا شك عندهم صلاح وفيهم نفع وخير كثير ولكن عندهم جهل كثير يحتاجون إلىٰ طلبة

العلم الذين يبينون لهم، كما أني أنتقد عليهم أن بعضهم - ولا أقول كلهم - إذا دخلت معه في مناقشة للعلم تجد منه أنه لا يرتاح لذلك، ولا يحب المناقشة أو التعمق في العلم، وهذا بلا شك خطأ، لأن الواجب علىٰ الإنسان - لا سيما الشاب - أن يكون حريصاً علىٰ العلم وعلىٰ البحث فيه، ولكن بهدوء وطلب للحق لا بجدال وشدة وعنف كما يوجد من بعض الناس، كما أني أيضاً أحب أن تكون هذه الجماعة علىٰ صلة بإخوانهم الآخرين وأن يجتمعوا علىٰ كلمة واحدة هذا يتعلم من هذا العلوم الشرعية، وهذاا يتعلم من هذا الأخلاق والآداب والسماحة والله أعلم) دروس الحرم ٣/٢٩٧

٩- وقال الإمام عبدالعزيز بن باز موجباً التعاون بين الجماعات الإسلامية: (الواجب علىٰ أهل العلم هو التعاون معهم علىٰ البر والتقوىٰ وإصلاح ما قد يغلطون فيه وهكذا غيرهم مثل جماعة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في باكستان والهند وغيرهم كلهم عندهم نقص والواجب التعاون علىٰ ما ينفع المسلمين. هذا هو الذي نعتقده في هذا كله في جميع الجماعات، ما كان عندها من خطأ نبهت عليه وبين لها خطأها، وما كان من صواب شكرت

عليه وشجعت علىٰ التزامه ونشره بين الناس حتىٰ تستقيم الدعوة إلىٰ الله من جميع الجماعات الإسلامية) فتاوىٰ وكلمات (ص/٧٢).

١٠- وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (علىٰ كل جماعة من الجماعات الإسلامية أن تتعاون مع الآخرين فيما اتفقوا عليه من الحق وأن تتفاهم معها فيما اختلفوا عسى الله أن يهدي الجميع إلىٰ سواء السبيل، وعلىٰ كل طائفة من هذه الجماعات أن تنصح للآخرين فتثني عليها بما فيها من خير وترشدها إلىٰ ما فيها من خطأ في الأحكام أو انحراف في العقيدة، أو الأخلاق أو تقصير في العلم أو البلاغ قصداً للإصلاح) فتاوىٰ وكلمات (ص/١٩٦).

١١- وجاء في بيان وتوضيح أصدره مجموعة من طلبة العلم من الكويت، - وعقب عليه الإمام العلامة عبدالعزيز بن باز بالثناء والتأييد -، قولهم: (والرأي الصواب المعتدل في هذه الجماعات، هو أنها لا تخلو من صواب وخطأ وخير وشر وبعضها أكثر صواباً وأقرب من بعض، فينبغي شكرها علىٰ ما تفعله من خير وتشجيعها عليه، ونصحها علىٰ ما فيها من خطأ ونهيها عنه، والتعاون بينها جميعاً في المشاريع الخيرية التي تعود بالخير علىٰ عموم

المسلمين مشروع محمود ما وافق الكتاب والسنة، قال سماحة الوالد العلامة المفتي العام عبدالعزيز بن باز حفظه الله: «إذا أخطأت جماعة في أمر من أمور الدين مما يتعلق بالعقيدة أو بما أوجب الله أو حرم نبهوا بالأدلة الشرعية بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن»، هذا هو الواجب علىٰ أهل الإسلام أن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، وأن يتناصحوا فيما بينهم، وأن لا يتخاذلوا فيطمع فيهم عدوهم) بيان وتوضيح حول بعض ما يجري في ساحة الدعوة في الكويت (ص/١١) الطبعة الثانية.

وقد عقب سماحة الشيخ علىٰ البيان المذكور بقوله: (فقد اطلعت علىٰ الكلمة التي صدرت منكم بعنوان.        ، وعلمت ما تضمنته من النقول الجيدة عن شيخ الإسلام بن تيمية والعلامة ابن القيم والشيخ عبدالرحمن بن حسن وغيرهم من أهل العلم فألفيتها نقولاً طيبة قد وقعت في محلها وكذلك ما أضفتم إليها من الكلمات الطيبة كل ذلك في محله.
ثم قال: وفيما شرع الله من التناصح والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ والتواصي بالحق والصبر عليه حل جميع المشاكل وبقاء القلوب علىٰ صفائها وإغاظة الأعداء وعدم تمكينهم من تفريق المسلين

وإيقاع الشحناء بينهم) صدر بتاريخ ١٤١٥/٥/٧، رقم ٩٩٤/خ مكتب المفتي العام.

فهذا هو كلام أهل العلم أئمة السلفية في الجماعات، وهي كما قال الإمام عبدالعزيز بن باز (هذه هي طريقة الرسل وأتباعهم).

أما المحاضر الفاضل ـ هداه الله ـ، فإنه قرر أن هذه الجماعات:

١ـ تحولت من طرق صوفية ومذاهب فقهية إلىٰ جماعات تقود الأمة نحو الخلاص.

٢ـ وانحرفوا فأخذوا منهج الخلف وعقيدتهم.

٣ـ فصاروا معتزلة وأشعرية وخوارج وقدرية وجهمية وقس عليه.

٤ـ وصار لهم أسماء جديدة فقط، والتقسيم هو نفس التقسيم.

٥ـ والفرق هو أننا صرنا نطلق عليها هذا كذا، وهذا كذا، وهذا كذا، يريد ـ والله أعلم ـ هذا إخواني وهذا تبليغي وهذا قطبي. إلخ، وهي توازي (هذا أشعري وهذا معتزلي وهذا خارجي وهذا قدري وهذا جهمي) في الحقيقة والحكم الشرعي، لكن اختلفت الأسماء،

فصارت تسمى أحزاباً بدل فرق.

٦- ولا يستثنىٰ من هذا أحداً - إلا السلفيين - وتقدم ماذا يريد بالسلفيين.

ثم أضف إلىٰ هذا ما قرره في معنىٰ الأمة، وهو ما تقدم مناقشته فيه.

ثم انظر مع هذا كله إلىٰ قوله: (ثم لم تستفد هذه القيادات والجماعات من واقع اندفاع الناس نحو الدين في تحويلهم إلىٰ طلب العلم الشرعي وإنما حولوا إلىٰ العمل السياسي، وحولوا إلىٰ التهريج. لكن نقول أن هذه الجماعات قد أعطت الجانب السياسي أو ما سموه بحرب القصور أكبر من حجم القضية فجعلوا المشرك يريدون أن يحاربوا به من سموه طاغوتاً، هذا مشرك شرك أكبر وذلك لعله موحد قد وقع في معصية، فجاء هذا الصراع علىٰ الدنيا واشتغلوا بعد ذلك بالتكفير، وما يسمونه بالجهاد ونحن نسميه بالإفساد في الأرض).

إذن هذه الجماعات فرق ضالة، ليست من الأمة، ومع ذلك تريد من دعوتها للناس إشغالهم بالسياسة والتهريج، ليحاربوا القصور التي فيها أولئك المساكين الموحدين الذين يقعون في معصية.

ثم أظهـروا توحيد الحـاكمية، ليقتلوا توحيد الألوهية، فيمكنهم ذلك من جمع أكبر عدد من الناس ليحققوا مآربهم، وليمكنهم من التكفير أيضاً، ثم ما أسموه بالجهاد وهو الإفساد في الأرض.

فأي خير في أولئك، وماذا يرتجى منهم بعد كل هذا، ثم لم يكتف بما تقدم من الاستنباطات العجيبة، فجرىٰ الوادي وطمّ علىٰ القرىٰ أخيراً، واستدل علىٰ دخول هذه الجماعات في لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منهم صرف ولا عدل، لأنهم يلمعون المبتدعة ومن آوىٰ محدثاً فعليه لعنة الله والملائكـة والناس أجمعين، فلم يبق لهم من الرحمة شيئاً يستحقونها، فهم أخطر من اليهود والنصارىٰ.

ولهذا، فإنه ـ حقاً ـ من أوتي فقهاً في الدين وتصور هذا القول تصوراً تاماً فإنه يمجه أعظم مما يمج الملح الأجاج بل العلقم.

ولو قال بهذا القول طائفة وقاموا به، وجعل في أيديهم ما يتسلطون به علىٰ الأمة، لا وضعوا خلالها يبغونها عظيم الفتنة، وفيها سماعون لهم، ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور.

ولا ريب أن هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين،

ومن اتباع الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

وأن أمر هذه الجماعات هو كما ذكر أولئك الأئمة، أئمة السلفيين، وأمرهم غير خاف على الناس، فظاهر حالهم هو حال أهل الإسلام والإيمان، وغالب عملهم هو العمل الصالح الذي نزل به الكتاب العزيز ودلت عليه السنة المطهرة، من خالطهم عرف ذلك، قائمون بمباني الإسلام الخمس العظام، مجتنبون لكبائر الفواحش والموبقات، مظهرون لشعائر الدين كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق والإحسان إلى الفقير والمسكين واليتيم وابن السبيل، وشهود صلاة الجماعة والجمعة والأعياد، وتلاوة القرآن، والأذكار، واحتجاب النساء، وغيرها من شعائر الدين، يعتقدون وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وأن من أطاع الله ورسوله نجا ودخل الجنة، ومن عصى الله ورسوله مستحق للعقاب، وأن من لم يؤمن بأن محمداً رسول الله ﷺ إليه، فهو كافر، يرون الجهاد من فرائض الإسلام، واتباع شريعة الله من أصول الإيمان.

معظمون لرسول الله ﷺ، وأصحابه وسلف الأمة، وفي قلوب كثير من أتباعهم من صدق الإيمان وبشاشته ما يظهر في مواطن الرخاء حباً في العمل الصالح وحرصاً عليه وما يظهر

في مواطن الابتلاء صبراً وثباتاً علىٰ دين الإسلام[1]

ولكثير منهم من طول العمر في الصلاح والإصلاح، واليد البيضاء علىٰ المسلمين ما شهد به أئمة العلم والدين.

وفيهم أيضاً ما فيهم، من النقص والجهل والانحراف، والمعصية والبدعة، والفساد، والتعصب، ما هو من طبيعة البشر، وما هو في الأمة، ولهذا ـ لوجود هذا وهذا فيهم ـ يقال فيهم ما قاله الإمام عبدالعزيز بن باز من القول الصدق والحكم العدل إن شاء الله.

ولا يحكم عليهم بحكم واحد مطلق، بل يحكم علىٰ كل فرد منهم بما يعتقد، وما اجتمعوا عليه من أمور ينظر فيها إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

---

(١) كما قال فضيلة الشيخ المغراوي حفظه الله: (سيد قطب هو نتيجة أو تلميذ من تلامذة مدرسة حسن البنا رحمة الله عليهما، جاهد في الله حق جهاده وبذل أغلىٰ ما يعطى فبذل نفسه في سبيله، وتأثم به طاغوت من طواغيت أهل الأرض عليه ما يستحق من ربه موهبة قوية وشخصية بارزة وعاطفة نظيفة وقلم غزير وفكر متقد، سعى لإقامة حكم الله في الأرض بكل ما أوتي. ) المفسرون (رسالة ماجستير) ٢ / ٣١٩ هذا مع أن لسيد قطب رحمه الله أغلاطاً معروفة بينها الشيخ الدويش رحمه الله في المورد الزلال وينبغي قراءتها لمن يريد القراءة في الظلال.

ويشكرون علىٰ ما يفعلونه من خير في الأمة، كما قال الإمام عبدالعزيز بن باز: (كم هدىٰ الله علىٰ أيديهم من منحرف وكم أسلم علىٰ أيديهم من كافر)، وينصحون علىٰ ما يفعلونه من خطأ وينكر عليهم بالحكمة.

وبالجملة ما فيهم من شر ففي عوام المسلمين غيرهم أكثر منه، ومن دخل فيهم صار حاله ـ في الغالب ـ خير من حاله قبل أن يصاحبهم، لا سيما في البلاد التي يكثر فيها الفساد والفتن.

وقد عصم كثير من شباب الأمة من ضلالات الأحزاب اللادينية الكافرة، ومن الإباحية والرذيلة، بانتمائهم إلىٰ هذه الجماعات، يعرف هذا من عرفه، وقد رأينا من ذلك ما لا يحصيه إلا الله.

وغالب حالهم في الجزيرة الاستقامة علىٰ السنة والطريقة السلفية وقد أخذوا العلم علىٰ علماء أهل السنة.

والكلام فيهم نظير الكلام في المنتمين إلىٰ المذاهب الفقهية قديماً وكانت طوائف لها أوقافها ومدارسها وعلمائها، بل ومحاريبها في الصلاة، ثم الحكم عليهم يتنوّع بحسب المحكوم عليه، ففي الشافعية السلفي كابن سريج، وأبي بكر الجرجاني

كبير الشافعية في زمنه وفيهم الأشعري الصوفي كالغزالي وفي المالكية السلفي كالطلمنكي وابن أبي زمنين والقيرواني ابن أبي زيد، وفيهم الأشعري كابن العربي صاحب أحكام القرآن، وفي الحنفية السلفي كالطحاوي وفيهم النسفي صاحب العقائد المشهورة بالنسفية وفي الحنابلة ابن الجوزي وله مخالفات معروفة، وفيهم شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ويجمعهم الانتماء إلىٰ مذاهبهم الفقهية، بمعنىٰ تقيّدهم بأصولها، وتلقيهم العلم علىٰ شيوخها، وتدريسهم في مدارسها، وتولي القضاء وغيره مما معروف في تلك الأزمنة.

فكما أنه لا يجوز الحكم علىٰ المنتمين إلىٰ مذهب من هذه المذاهب بحكم واحد، ولا الحكم علىٰ ما يجمعهم من انتمائهم إلىٰ مذهب من المذاهب، بحكم واحد، فإنه ما من مذهب إلا وفيه الخطأ والصواب، والصحيح والضعيف، ولأئمة كل مذهب من الأقوال الصادقة، والآراء الصحيحة، والاستنباطات الوجيهة ما هو معروف مشهور، ولهم أيضاً أقوال ضعيفة، وآراء أصابوا فيها أجراً واحداً، مما لا يخفى ولا حاجة لذكره.

ولهذا كان القول الصواب في هذا الباب، أنه وإن كان يسوغ الانتساب إلىٰ هذه المذاهب، لكن لا يجوز العدول عن

الدليل الصحيح إذا ظهر اتباعاً للمذهب، فإن هذا من التعصب المذموم، ويجب علىٰ طالب علم الشريعة، أن يكون همه متوجهاً إلىٰ معرفة الحكم الشرعي من الوحي المنزل، الكتاب والسنة، وما يتفرع منهما من أنواع الاستدلال الصحيح، ويجعل كلام الأئمة، طريقاً يتوسل به إلىٰ هذا الأصل، لا أصلاً يتعصب له.

ونظير الحكم علىٰ الجماعات، من وجه آخر، الحكم علىٰ الصوفية والتصوف، فإنه انتسب إلىٰ هذا الاسم خلق كثير، متباينون تبايناً عظيماً في الاعتقاد واتباع الشريعة والتقيد بالكتاب والسنة في الأعمال والنسك والزهد.

وتجمعهم هذه النسبة، وربما اختلفوا في معناها، كل يرىٰ المعنى الذي ينصره هو الحق، لكن الحق واحد، لا يتعدد، ولا يدل ذلك علىٰ أنهم جميعاً ينتظمون تحت حكم واحد، لمجرد انتسابهم لاسم واحد.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وقد تكلم بهذا الاسم قوم من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وغيره وقد تكلم به أبو سليمان الداراني وأما الشافعي فالمنقول عنه ذم الصوفية، وكذلك مالك ـ فيما أظن ـ وقد خاطب به أحمد لأبي حمزة الخراساني، وليوسف

بن الحسين الرازي، ولبدر بن أبي بدر المغازلي، وقد ذم طريقهم طائفة من أهل العلم، ومن العباد أيضاً من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة وأهل الحديث والعباد، ومدحه آخرون.

والتحقيق فيه: أنه مشتمل علىٰ الممدوح والمذموم، كغيره من الطريق، وأن المذموم منه ما قد يكون اجتهادياً، وقد لا يكون، وأنهم في ذلك بمنزلة الفقهاء في الرأي، فإنه قد ذم الرأي من العلماء والعباد، طوائف كثيرة، والقاعدة التي قدمتها تجمع ذلك كله، وفي المتسمين بذلك من أولياء الله وصفوته، وخيار عباده ما لا يحصى عده، كما في أهل الرأي من أهل العلم والإيمان من لا يحصى عده إلا الله) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٣٧٠

وقال: (ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم، فطائفة ذمت «الصوفية والتصوف» وقالوا: إنهم مبتدعون، خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم علىٰ ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق، وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم.

والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطىء، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه) مجموع الفتاوىٰ ١١/١٨

هذا مع أن الصوفية قد دخل فيها من أهل الزندقة والإلحاد والفسق، ما لا يحصيه إلا الله، وصارت هذه الأيام منبع البدع والضلال والصد عن سبيل الله، مما يوجب علىٰ أهل العلم والإيمان فضحهم وجهادهم.

والمقصود هنا أنه لا بد من التفصيل في الحكم علىٰ من يدخلون تحت اسم يجمعهم، وهم مع ذلك مختلفون في أحوالهم وأعمالهم واعتقاداتهم، إذا كان ما يجمعهم ليس مما دل الكتاب والسنة علىٰ نفيه وبطلانه، وإنما هو من الأسماء المحتملة، كما قال ابن تيمية: (ثم لفظ الفقر والتصوف قد أدخل فيها أمور يحبها الله ورسوله فتلك يؤمر بها وإن سميت فقراً أو تصوفاً لأن الكتاب والسنة إذا دل علىٰ استحبابها لم يخرج عن ذلك بأن تسمي باسم آخر، كما يدخل في ذلك أعمال القلوب بالتوبة والصبر والشكر والرضا والخوف والرجاء

والمحبة والأخلاق المحمودة، وقد أدخل فيها أمور يكرهها الله ورسوله كما يدخل فيه بعضهم نوعاً من الحلول والاتحاد وآخرون نوعاً من الرهبانية المبتدعة في الإسلام وآخرون نوعاً من مخالفة الشريعة، إلىٰ أمور ابتدعوها إلىٰ أشياء أخر، فهذه الأمور ينهى عنها بأي اسم سميت وقد يدخل فيها أمور مسائل الأحكام فهذه للمصيب فيها أجران وللمخطىء أجر، وقد يدخل فيها التقييد بلبسة معينة وعادة معينة في الأقوال والأفعال بحيث من خرج عن ذلك عد خارجاً عن ذلك، وليست من الأمور التي تعينت بالكتاب والسنة بل إما أن تكون مباحة وإما أن تكون ملازمتها مكروهة فهذا بدعة ينهى عنها وليس هذا من لوازم طريق الله وأوليائه.

فهذا وأمثاله من البدع والضلالات يوجد في المنتسبين إلىٰ طريق الفقر كما يوجد في المنتسبين إلىٰ العلم أنواع من البدع في الاعتقاد والكلام المخالف للكتاب والسنة والتقيد بألفاظ واصطلاحات لا أصل لها في الشريعة فقد وقع كثير من هذا في طريق هؤلاء، والمؤمن الكيس يوافق كل قوم فيما وافقوا فيه الكتاب والسنة، وأطاعوا فيه الله ورسوله، ولا يوافقهم فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة أو عصوا فيه الله ورسوله، ويقبل من كل طائفة ما جاء به الرسول كما قال ﷺ: «**من أحدث**

**فيما أمرها هذا ما ليس منه فهو رد»** ومتىٰ تحرىٰ الإنسان الحق والعدل بعلم ومعرفة كان من أولياء الله المتقين وحزب الله المفلحين وجند الله الغالبين) مجموع الفتاوي ١١/ ٢٨

هذا مع أن الجماعات الإسلامية تنتسب إلىٰ أسماء شرعية، وتظهر القيام بشعائر الدين التي لا اختلاف فيها، كالدعوة والتبليغ، وتحكيم الشريعة الإسلامية، وإقامة المجتمع الإسلامي، والدولة الإسلامية التي تحكم بأحكام الشريعة، والجهاد، والذود عن دين الإسلام والوقوف في وجه أعدائه من الملل الأخرىٰ، وهذه كلها مما دلت الشريعة علىٰ اعتبارها بل منها ما هو من أعظم أركان الدين، وهم قائمون عليها، مجتهدون في ذلك، ويجري علىٰ أيديهم منها في بقاع المسلمين ما هو كثير جداً، ولا يزال أهل العلم والإيمان يشكرونهم علىٰ ذلك كما تقدم عن العلماء المعاصرين.

وفي البلاد الكافرة لهم من الجهد المشكور في دعوة المسلمين وتعليمهم دينهم ما هو معروف مشهور جداً.

وإذا كان ما يجمعهم هو هذه الأمور المحمودة في الشريعة في أصلها، ثم هم مختلفون في أحوالهم واعتقاداتهم وأعمالهم بحسب بلادهم وأفرادهم فالحكم عليهم بحكم واحد أبعد عن الصواب والعدل من الحكم علىٰ الصوفية بحكم واحد،

كما تقدم عن شيخ الإسلام أنه مذموم خارج عن العدل والعلم.

أما التعاون بين الجماعات الإسلامية، فإن تقييد جوازه بالضرورة غريب جداً، بل هو خطأ محض.

فالتعاون بين المسلمين إذا كان في أمور الدنيا (المباحة) جائز بالإجماع بل هذا جائز بين المسلمين وغيرهم من الملل الأخرىٰ، لا يختلف في هذا الفقهاء، ما لم يقترن بأمر محرم أو يخشى إفضائه إلىٰ ذلك.

وأما التعاون في أمر من الأمور التي تدخل في البر والتقوىٰ، فإن تعاون المسلمين فيما هو متفق عليه أنه من البر والتقوىٰ لا يفضي إلا إلىٰ إعلاء شعائر الله، ورفع كلمته، وإظهار دينه، فأي شيء في هذا؟ وكيف تدل الشريعة ـ ليت شعري ـ علىٰ تحريمه، وتقييد جوازه بالضرورات؟

وذلك مثل التعاون علىٰ بناء المساجد، وإغاثة المسلمين في بقاع الأرض، وإنجاح سعي الساعين إلىٰ تحكيم الشريعة بدل القوانين في البلاد الإسلامية، بإعانتهم علىٰ ذلك بالقول والمال والجهد والتأييد، وتغيير المناهج العلمانية المنتشرة في مناهج التعليم في البلاد الإسلامية إلىٰ مناهج إسلامية، وغير ذلك

كثير جداً، وتتبعه يطول، فإن ما أصاب المسلمين في دينهم من المصائب في جل حياتهم كثير، مما يوجب على الذين آتاهم الله العلم والهمة لتغيير ذلك أن يتعاونوا ولا يختلفوا فيضعفوا ويقوىٰ عدوهم، ويدعوا ما اختلفوا فيه في الموضع الذي يتفقون عليه، وذلك كله داخل في أمر الله للمسلمين جميعاً، ﴿**وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان**﴾، فمتىٰ كان الأمر من التقوىٰ والبر، فإن كان واجباً لا يتم إلا باجتماع وجب التعاون عليه بين المسلمين، وإن كان مستحباً يتم باجتماع استحب ذلك.

وقال سماحة الشيخ ابن باز في رده علىٰ سؤال من الجبهة القومية الإسلامية في السودان والتي تضم تيارات متعددة لمواجهة أعداء الإسلام حيث يقول: (لا ريب أن التعاون بين المسلمين في محاربة المذاهب الهدامة والدعوات المضللة والنشاط التنصيري والشيوعي والإباحي من أهم الواجبات ومن أعظم الجهاد في سبيل الله) فتاوىٰ وكلمات ص٧٧

ثم إن تقييد جواز التعاون بين الجماعات بالضرورات، يقتضي أن الأصل هو التحريم، فإنه لا يباح للضرورة إلا ما كان في الأصل محرماً، وتحريم ما أحل الله ـ كتحليل ما حرم الله ـ من أعظم المنكر، وقد عظم الله الشنعة في كتابه علىٰ

من فعل ذلك، قال تعالىٰ: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون﴾ وقال: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علىٰ الله الكذب﴾ وقال: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ وقال: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا علىٰ الله إلا الحق﴾ وقال: ﴿لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا علىٰ الله إلا الحق﴾ وقال: ﴿ها أنتم هؤلاء ما حججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾.

## تفسيره لحقيقة المواجهة بين الحركات الاسلامية والأنظمة اللادينية تفسيراً يجعل الطرف الظالم المفسد هو الحركات الاسلامية والآخر هو الطرف البرىء المظلوم

قوله: (لكن نحن نقول إن هذه الجماعات قد أعطت الجانب السياسي، أو ما سموه هم «حرب القصور» أكبر من حجم القضية فجعلوا المشرك يريدون أن يحاربوا به من سموه طاغوتاً.

هذا مشرك شركاً أكبر وذلك لعله موحد قد وقع في معصية، فجاء الصراع على الدنيا، واشتغلوا بعد ذلك بالتكفير، وما يسمونه بالجهاد ونحن نسميه بالإفساد في الأرض. ويأتي السؤال العجيب أنه لمصلحة من تخرب بلاد المسلمين من الذي يستفيد، وأنا أقول لهؤلاء ادرسوا كل تجارب الثورات من أول فساد ظهر من الباطنية في مقتل عثمان إلى يومنا هذا أعطونا

تجربة واحدة كما يقولون شعبية ثورية نجحت في تحقيق الأمن والاستقرار في بلاد المسلمين، كل الذي نراه دمار في دمار وضياع في ضياع، وتمكين لأعداء الله أكثر، وإعطاء المفسدين في الأرض فرصة أكثر لضرب الإسلام وتشويه سمعته.

وكل هذا، النتيجة ستكون أن تحكم طائفة من الناس، فتقتل بعد ذلك باسم الدين الطوائف الأخرىٰ.

ولكن نحن نقول هذا الانحراف في إظهار ما أسموه بتوحيد الحاكمية وإهمال بقية أنواع التوحيد في ابتداعهم هذا، وتجميع الناس عليها واحتياجهم إلىٰ التكفير بعد ذلك ثم ما أسموه بالجهاد. .)[1] ا.هـ. من كلامه بلفظه.

التعليـــق:

بين المحاضر في هذه الجمل من كلامه، مختصراً لما يراه التحليل الصحيح لواقع الصدام الذي يوجد في بعض البلاد بين الحركات الإسلامية (أو ما يسمى في لغة الإعلام المعاصر بالأصولية)، وبين الأنظمة الحاكمة، من جمهورية أو ثورية أو لادينية علمانية اشتراكية أو دائرة في فلك اللبرالية الغربية الرأسمالية، أو المدعية أنها دستورية ديمقراطية، وكلها تشترك في أنها لادينية لا ترىٰ إقامة الدولة الدينية والحكم بما أنزل

(١) ص١١١

الله، بل ما يسمونه بالدولة المدنية، ويقصدون بها الدولة التي تتحاكم إلىٰ الطاغوت، وإن كان الموقف من الدين يكون بعد ذلك تبعاً للمصلحة السياسية، فيضيق الأمر أحياناً ويوسع أحياناً لإيجاد توازن القوىٰ في الدولة، أو لأسباب أخرىٰ، وقد يحارب، وقد يوظف في ظروف وقتية للوصول إلىٰ أهداف الدولة أو الحزب فيما وراء الدين.

والمقصود أن تحليله يتضمن ما يلي:

١ـ أنها ـ أي الجماعات الإسلامية ـ جماعات ذات قيادات خلفية جاهلة.

٢ـ أنها لم تستفد من واقع اندفاع الناس نحو الدين، لتوجيههم إلىٰ العلم الشرعي وإنما إلىٰ أمرين:

ـ العمل السياسي.

ـ التهريج؟؟؟

٣ـ أنهم أعطوا الجانب السياسي أو ما أسموه (بحرب القصور)، أكبر من حجمه، وصار هدفهم محاربة من سموه طاغوتاً ولو استعانوا عليه بمشرك.

٤ـ ثم اشتغلوا بالتكفير لأنهم احتاجوا إليه، ثم ما أسموه بالجهاد وهو الإفساد في الأرض.

٥ـ ثم نتيجة هذا كله لو نجحوا فيه أن تحكم طائفة من

الناس فتقتل بعد ذلك باسم الدين الطوائف الأخرىٰ.
٦ـ ويتصارعون علىٰ الدنيا وتنتهي المسرحية.

وقد وثق بنفسه ـ غفر الله له ـ إلىٰ درجة أنه لم يورد أي احتمالات أخرىٰ، لتحليل حقيقة هذا الصراع، وأراد من السامعين أن يقتنعوا به بهذه البساطة وكأنه لا يتحدث في بلد مفتوحة لجميع الإعلام الخارجي ويعرف أبناؤه ما يجري بالتفصيل في أقاصي الأرض وأطرافها.

وفيهم من يخوض معارك يومية مع من يريد أن يحول البلاد إلىٰ أن تكون مرتعاً لثقافة الغرب وأخلاقه ودينه، في الصحافة، وفي أجهزة الدولة، وفي المجلس النيابي، ويعلمون أنه لولا طبيعة البلاد وطبيعة شعبها لما كان مستبعداً أبداً أن يستعمل أعداؤهم الأساليب الدموية نفسها ـ التي تستعمل في البلاد التي أشار إليها المحاضر ـ لطمس معالم الدين.

ويعلمون كيف كان النظام العراقي ـ الذي لا يختلف عن كثير من الأنظمة التي أشار إليها المحاضر ـ كيف كان ينظر إلىٰ الدين وإلىٰ الدعاة إليه ـ وكيف يمارس قمعه، يوم كان لا يجرؤ أحد أن يحرم أي أسلوب من أساليب العنف ضده، مع أنه كان (ولي أمر) في (قصر).

والمقصود هنا بيان ما في تحليله من التجاوزات وهي:

**أولاً**: اختزل جميع العوامل التي تحدد ملامح الصراع الواقع بين الحركات الإسلامية في العالم وبين من يحول دون تحقق أهدافهم التي هي أهداف ظاهرة ومعلنة غير خفية، ونابعة من إرادة الشعوب نفسها ومن دينها وثقافتها وتراثها، وهي تحكيم الشريعة الإسلامية وإقامة الدولة التي تدين بها، من يحول دون تحقق هذه الأهداف ولو بالقوة، ولو بالاستعانة بالأجنبي الكافر، كما في أفغانستان نجيب الذي كان يظهر في الصورة وهو يصلي ويرفع يديه بالدعاء وكما في الجزائر.

اختزل جميع العوامل التي تحدد ملامح هذا الصراع وتؤثر في معرفة أسبابه وخلفياته ودوافعه وأخرجها جميعاً من المعادلة واكتفى بما ذكر من التحليل الساذج.

ومن العوامل التي يجب اعتبارها:

١- نظرة الغرب إلى العالم الإسلامي والحركات التغييرية الإسلامية فيه وهي نظرة متأثرة بمنطلقات دينية نصرانية إلى حد كبير.

٢- الخلفية التاريخية التي تعتبر امتداد فعلي لمسرح الأحداث في البلاد التي فيها الصراع وإسقاطاتها عليه (مثال فرنسا والجزائر).

٣ـ تعلق مصالح الغرب في المنطقة الإسلامية العربية خصوصاً وخوفهم من تهديد هذه الحركات الإسلامية لهذه المصالح.

٤ـ الخلفية الفكرية الثقافية للحكومات التي تعارض هذه الحركات وتبنيها للثقافات الأجنبية الكافرة وإصرارها علىٰ فرضها بالقوة علىٰ المسلمين، ورفضهم صراحة لما يسمونه بالدولة الدينية وإعلانهم الوقوف ضد أي محاولات لتغيير وضع ما يسمى بالدولة المدنية أي العلمانية.

٥ـ أطماع اليهود في المنطقة وضلوعهم في محاربة كل توجه إسلامي ولو كان بالمساهمة الضئيلة، لأنه من البديهي أن كل خطوة باتجاه التغيير نحو الإسلام تعتبر تهديداً ولو علىٰ المدىٰ البعيد لوجودهم، وهم يصرحون بهذا.

٦ـ تعرض كثير من المنتسبين لهذه الحركات للقهر والتعذيب والمطاردة والإرهاب الفكري والجسدي والتشويه الإعلامي، مما أدىٰ إلىٰ جنوح بعضهم إلىٰ الغلو، ثم استغلال هذه الأنظمة لهذه الظاهرة المحدودة لتشويه صورة الأهداف الحقة للحركات.

ولا ريب أن هذه العوامل تعطي صورة واضحة لحقيقة الصراع ودوافعه، وإن كانت الحركات الإسلامية تقع في

أخطاء لكنها لا زالت الطرف المضطهد المظلوم، وهي الطرف الذي يعلن أهدافه ويرضى أن تتحقق ولو بالنظام، والأنظمة تكتفي بالإصرار علىٰ الرفض واستعمال العنف، حتىٰ آل الأمر إلىٰ ما آل إليه.

**ثانياً**: أنه جنح جنوحاً كلياً إلىٰ أحد طرفي الصراع وحاول أن لا يجرح شعورهم بأي أذىٰ ولو كان لفظياً، ولم ينس ـ مع سرعة حديثه ـ أن يقيد ألفاظه، ولهذا يقول: (فجعلوا المشرك «هكذا بلا تردد» يريدون أن يحاربوا به من سموه طاغوتاً) ثم زادها رقة ولطافة فقال: (هذا مشرك شركاً أكبر وذاك لعله موحد قد وقع في معصية فجاء الصراع علىٰ الدنيا)، فهذا المسكين الموحد الذي وقع في معصية جاء هؤلاء المفسدون الضالون بالمشركين شركاً أكبر ليصارعوه علىٰ الدنيا.

وهكذا يوحي للسامع أن طرف الأنظمة اللادينية المعارضة لحركات التغيير الإسلامي، والتي تسميها (الحركات الأصولية)، هو الطرف البريء المظلوم.

**ثالثاً**: أنه تناسى أو تجاهل كل هذه الأخبار التي لم تعد تخفى علىٰ أحد يتابع الأحداث في العالم، والتي يصرح فيها زعماء الغرب أنهم سيقفون بكل قوة وحزم وبكل وضوح مع

الحكومات التي تواجه من يريد التغيير نحو الإسلام ولو بالطرق السلمية وهو ما عبروا عنه (بالقضاء علىٰ الديمقراطية بالديمقراطية)، (وبدمقراطية المرة الواحدة) أي الذين يصلون إلىٰ السيطرة علىٰ مؤسسة الدولة بالديمقراطية، ثم يحولونها إلىٰ دولة أصولية تؤمن بسيادة القانون الديني لا سيادة الأمة.

ومن ذلك ما قاله الرئيس الجديد لمجلس النواب الأمريكي جنجريتش في أواخر رمضاه هذا العام ١٤١٥ (أن الولايات المتحدة ستتخلىٰ عن سياستها الحالية المقتصرة علىٰ مجرد ردود الفعل إزاء التحدي الأصولي وتتحول إلىٰ مواقع الهجوم). وما قاله الأمين العام لحلف الناتو عن الأصولية الإسلامية و(أنها تمثل أخطر تهديد للتحالف والأمن الغربي) وقد تناقلتها وكالات الأنباء.

ومعنى هذا أن الأنظمة المعارضة لأهداف حركات التغيير الإسلامي، ليس الخلاف بينها وبين هذه الحركات خلاف في أسلوب التغيير وعدم اقتناعها بالعنف واستعدادها لقبول الأساليب السلمية، بل في أصل المبدأ الذي تحمله هذه الحركات، وهو تحكيم الإسلام في أنظمة الدولة والحياة.

رابعاً: أنه لم يتطرق إلىٰ وجوب التفصيل في الكلام علىٰ

هذا الصراع، بحسب المكان الذي يجري فيه، والأحوال والأسباب التي اكتنفته، فإن الأحوال تختلف باختلاف البلاد.

فأفغانستان[1] ـ مثلاً ـ كان الصراع من أول اندلاعه ضد الحكومة الأفغانية إذ ذاك، إلىٰ أن كانت الحرب بين جند نجيب الذي كان يظهر في الصورة وهو يصلي ويرفع يديه بالدعاء، وبين الحركات الإسلامية، كان جهاداً شرعياً ولم يكن إفساداً في الأرض، وكان العلماءَ وعلىٰ رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، يحثون الناس علىٰ إعانتهم.

وأما وقوع الصراع بينهم بعد ذلك، فليس دليلاً علىٰ أن الجهاد لم يكن مشروعاً، فإن الحكومة الأفغانية التي دعوا إلىٰ جهادها في أول الأمر، كانت شيوعية، واستعانت بالملحدين

(١) وهو المثال الوحيد الذي ذكره، ليوضح رأيه في حقيقة الصراع فإنه قال: (الجهل مع قيادة جاهلة متعجلة تريد قبل وصول هؤلاء إلىٰ النضج الذهني أن تقطف ثمرة الحكم فشغل الناس في قضايا الحكم قبل أن ينشغلوا في قضايا إصلاح البيوت، فوافق جهل بالدين مع قيادات عجلة لاقتطاف الثمرة فرمت هؤلاء الناس في أتون هذا الإفساد الذي يشاهد في دنيانا ثم حفاظاً علىٰ مناصب معينة تحزبت الأمة فكان هذا سبب تخلفها، ولعل قضية الأفغان من أبرز القضايا بأن التحزب والفرقة والخلاف هم سبب دمار الأمة).

الشيوعيين، فملئوا الأرض يقاتلون المسلمين مع أوليائهم من الأفغان الشيوعيين، وكان حكمهم للبلاد فيه من ظهور الكفر والكفار علىٰ المسلمين وإفساد دينهم ما هو أضر عند كل عاقل من القتال بين المسلمين علىٰ الملك، كما قال ابن تيمية في شأن التتر وما فعلوه في بلاد الإسلام من أمور كثيرة ومنها: (سبي الصبيان واستعبادهم وإخراجهم عن دين الله إلىٰ الكفر، وقتل أهل العلم والدين من أهل القرآن والصلاة، وتعظيم بيوت الأصنام . علىٰ المساجد، ورفع المشركين وأهل الكتاب من النصارىٰ، وغيرهم علىٰ المسلمين بحيث يكون المشركون وأهل الكتاب أعظم عزا وأنفذ كلمة، وأكثر حرمة من المسلمين، إلىٰ أمثال ذلك مما لا يشك عاقل أن هذا أضر علىٰ المسلمين، من قتال بعضهم بعضاً، وأن رسول الله ﷺ إذا رأىٰ ما جرىٰ علىٰ أمته من هذا، كان كراهته، له، وغضبه منه، أعظم من كراهته لاثنين مسلمين تقاتلا علىٰ الملك) منهاج السنة ٣٧٣/٦

وكذلك في المسألة الأفغانية، ما كان سيحصل من ظهور الكفار الملحدين الروس وأوليائهم من الأفغان الكفرة المرتدين، وما يتبعه من توسع الاتحاد السوفيتي، وتقديمه ورفعه أهل دينه الإلحادي بحيث يكونون أعظم عزًّا وأنفذ كلمة وأكثر

حرمة من المسلمين المتمسكين بدينهم، أضر علىٰ المسلمين من قتال بعضهم بعضاً.

وأما ما في الأفغان من البدع والضلالات فإنه ـ أيضاً ـ أهون من الكفر كما قال ابن تيمية رحمه الله: (والخير والشر درجات فيقنع بالخير اليسير إذا لم يحصل ما هو أكثر منه ويدفع الشر الكثير بالشر اليسير، وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلىٰ بلاد الكفار، فأسلم علىٰ يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفاراً) نقلاً عن طريق الوصول للسعدي ص١٦٣

والمقصود أن لكل بلد أحوالٌ تخصه ولا يجوز تعميم الأحكام هكذا، بحيث يظن الجاهل أنْ كل صراع بين طائفة تظهر نصر الدين والمطالبة بالعمل بأحكام الإسلام، وبين نظام يحاربها، أنه إفساد في الأرض.

وبالجملة فإن هذه الحركات أقرب إلىٰ الدين، وأنفع للمسلمين وخير مقاماً في الإسلام، وأصدق قيلاً، من الأنظمة التي تقمعها وتضطهدها، والتي كانت ولا زالت أعظم أسباب الفساد الذي يجري في الأمة، فساد عقائدها بما أدخلوه عليها من نظريات الكفر والإلحاد والتشكيك في الدين، وفساد أعمالها

وأخلاقها بما أشاعوه فيها من أخلاق الكفرة الفجار، في المؤسسات التعليمية والإعلامية التي يديرونها ويطورونها دائماً، إمعاناً في اجتيال ما تبقى من شعائر الدين وأخلاقه في شعوب المسلمين.

أفما كانت هذه الأنظمة التي لم تأل في الأمة خبالاً، وأشاعت كل هذا (الفساد الذي نشاهده في دنيانا[1])، تستحق شطر كلمة من المحاضر تبين دورها ـ أيضاً ـ، أم أنها لا يليق بها إلا الأسلوب الرقيق الذي كان يستعمله المحاضر ـ الفاضل عفا الله عنه ـ عندما يأتي ذكرها.

**خامساً**: أنه لما ذكر الموقف الشرعي اكتفى بقوله: (الناحية الشرعية بهذا، نحن نعلم بأن الإنسان لا بد له في الأثرة من الصبر ومراعاة المصلحة العليا، على المصلحة الخاصة)[2]

موهماً بذلك أن القضية قضية أثرة، ومطالبة هذه الحركات بمصالحها الخاصة، مصادراً بذلك كل التفاصيل التي تتعلق بقضاياهم بحسب اختلاف بلادهم وأحوالهم كما تقدم بعضه.

---

(١) تعبير المحاضر حيث قال عن الحركات الإسلامية (فرمت هؤلاء الناس في أتون هذا الفساد الذي يشاهد في دنيانا) ص٨٣ الحاشية.
(٢) ص١١٣

# ثانياً:
# التنبيهات الفرعية واللفظية

١ـ قوله: (نريد بمعنى أن نتحول كالصحابة رضوان الله عليهم في ظاهرنا وباطننا، أن نخلص من الذنوب)[1]، وقوله: (ونكون كالصحابة رضوان الله عليهم قولاً وعملاً)[2] وقد ذكر هذا في سياق الإشتراط للنهوض بالأمة.

التعليــق:

من المعلوم البديهي أن النصوص الكثيرة دلت على أنه لا يمكن لجيل أن يكون مثل جيل الصحابة، ظاهراً وباطناً، قولاً وعملاً.

وإذا كان ينتظر ـ أحدٌ ـ أن يأتي هذا الجيل لتنهض الأمة، فقد أغلق عليها باب النهوض.

ثم من ذا الذي يخلص من الذنوب، وهل كان الجيل الأول خالصاً منها، لقد كان النبي ﷺ، ينصر وفي جيشه المنافقون

---

(١) ص١٠٤

(٢) ص١١٥

والغال والذي يقاتل حمية، فينتحر جزعاً من الجراح فيدخل النار، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم**» في قصة هذا المنتحر، وما زال المسلمون ينهضون من كبواتهم وفيهم ما فيهم من المخالفات والذنوب.

نعم لو قال: إن القيادة لا بد أن يتحقق فيها صفات المتقين والصالحين، لأن الله تعالىٰ جعل العاقبة للمتقينٰ، وأورث الأرض عباده الصالحين، وليس من شروط ذلك الخلوص من الذنوب ولكن كما قال الله تعالىٰ: ﴿**ولم يصروا علىٰ ما فعلو وهم يعملون**﴾ وقال ابن تيمية: (وليس من شرط المتقين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب، ولا أن يكونوا معصومين من الخطأ والذنوب، فإن هذا لو كان كذلك لم يكن في الأمة متق، بل من تاب من ذنوبه دخل في المتقين، ومن فعل ما يكفر سيئاته دخل في المتقين، كما قال: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾) منهاج السنة ٨٢/٧.

٢ـ قوله: (إن الأمان عند الاختلاف والفتن باتباع العلماء علماء الأمة المرضي عنهم فنتبعهم، إذا اختلطت عندنا الأوراق فما استطعنا أن نميز، ننظر علىٰ أي درب ساروا نسير، لأنك

إما أن تميز بنفسك فإذا اختلطت عليك الأوراق فانظر علىٰ أي درب علماء الأمة يسيرون فسر به والحمد لله لا يخلو عصر ولا مصر من علماء)[1]

التعليـــق:

هذه العبارة غير علمية، ولا يستفيد السامع منها هكذا، لأن المكلف إما أن يكون قادراً علىٰ التمييز فيجب عليه أن يعمل بعلم نفسه ولا يجوز له التقليد، وإما أن يكون عاجزاً عن العلم، فيقلد من يثق به، ولا يجوز له التعصب ولا إلزام غيره بما قلد فيه، لأن المقلد غير عالم بما قلد فيه، باتفاق العلماء، ولا يخرج عن هذا شيء من المطالب الدينية.

وإذا أحلنا المقلد علىٰ من يثق به من العلماء، وكان العلماء مختلفين في المسألة، صارت من مسائل النزاع التي يجري فيها ما يجري في مسائل النزاع من آداب الخلاف، وهذا هو الحال في كثير من مسائل العصر ونوازله، ومنها الحكم علىٰ الجماعات الإسلامية.

وليس لأحد أن يعين علماء يوافقونه في الحكم علىٰ مسألة ما يستحسنها برأيه، أو لهوىٰ في نفسه، ويوجب علىٰ الناس

---

(١) ص١١٤

جميعاً اتباعهم هم دون سواهم، وليس ذلك محصوراً في بلد ما من بلاد المسلمين.

هذا مع أن دعوىٰ أن هذا عالم وهذا غير عالم، لا يخلو في كثير من الأحيان من الهوىٰ كما قال ابن تيمية رحمه الله وقد سئل عن الشيخ عبدالقادر أنه أفضل المشائخ، والإمام أحمد أنه أفضل الأئمة، فهل هذا صحيح؟، قال: (أما ترجيح بعض الأئمة والمشائخ علىٰ بعض، مثل من يرجح أمامه الذي تفقه علىٰ مذهبه، أو يرجح شيخه الذي اقتدىٰ به علىٰ غيره، كمن يرجح الشيخ عبدالقادر، أو الشيخ أبا مدين، أو أحمد أو غيرهم، فهذا الباب أكثر الناس يتكلمون فيه بالظن وما تهوىٰ الأنفس، فإنهم لا يعلمون حقيقة مراتب الأئمة والمشائخ، ولا يقصدون اتباع الحق المطلق، بل كل إنسان تهوىٰ نفسه أن يرجح متبوعة فيرجحه بظن يظنه، وإن لم يكن برهان علىٰ ذلك، وقد يفضي ذَلك إلىٰ تحاجهم وقتالهم وتفرقهم، وهذا مما حرم الله ورسوله، كما قال تعالىٰ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا: اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم**.﴾

ثم قال: ولا أحد في الإسلام يجيب المسلمين كلهم بجواب

عام: أن فلاناً أفضل من فلان، فيقبل منه هذا الجواب، لأنه من المعلوم أن كل طائفة، ترجح متبوعها، فلا تقبل جواب من يجيب بما يخالفها فيه، كما أن من يرجح قولاً أو عملاً لا يقبل قول من يفتي بخلاف ذلك، لكن إن كان الرجل مقلداً فليكن مقلداً لمن يترجح عنده أنه أولىٰ بالحق فإن كان مجتهداً اجتهد واتبع ما يترجح عنده أنه أولىٰ بالحق ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها) مجموع الفتاوي ٣/ ٢٩١

والمقصود أنه في النوازل يسأل المسلم من يثق به إن كان مقلداً، ولا ينكر علىٰ من يثق بغيره فيقلده، وليس لأحد أن يوجب علىٰ المسلمين جميعاً اتباع من يعظمهم دون سواهم، ويجعل هذا هو المخرج من الفتن.

٣ـ قوله، وقد سئل عن وسائل الدعوة هل هي توقيفية؟: (وأما إن كنا نقصد الوسائل ذات الصلة بالمنهج والفهم، فلا شك أنها توقيفية)[1]

التعليــق:

ها هنا أمران:

**الأول**: وسائل المنهج.

---

(١) ص٦٨

**الثاني: وسائل الفهم.**

أما وسائل الفهم، فالإشارة، والألفاظ، واللسان، والسمع والدماغ، والقلب، ثم يفهم الإنسان.

أما وسائل المنهج، فهذه إضافة، والمضاف إليه فيها من الألفاظ التي لا تعرف إلا عند الإضافة، والظاهر هنا أن المقصود مناهج الدعوة.

فالسؤال إذن، عن الوسائل المستعملة في مناهج الدعوة، ومناهج الدعوة، كلمة عامة، تشتمل علىٰ تفاصيل كثيرة، ومنهج الدعوة وإن كانت أصوله ثابتة، لكن لا بد أن يكون فيه متغيرات، تخضع لتغير الزمان والمكان، وحينئذ فالوسائل تدخل في ذلك ولا ريب، ألا ترىٰ أن دخول المجالس النيابية يكون أحياناً من وسائل الدعوة، ومن منهجها في تغيير المنكر في بلد، ولا يصلح لذلك في بلد آخر؟، ودخول الاتحادات الطلابية، ونقابات المعلمين ونحوها، يكون من وسائل الدعوة ومن منهج الدعاة في بلد دون آخر، ومعلوم أنه ليس في شيء من ذلك نصوص خاصة تجعلها مما يدخل تحت ما يعده العلماء توقيفاً.

وإنما هي اجتهادات مبنية علىٰ تحصيل المصالح الشرعية،

وتحقيق أهداف الدعوة في المجتمع، ولهذا اختلف فيها العلماء.

ولهذا نظائر كثيرة جداً يصعب حصرها، والزمان يتطور كل يوم ويأتي بكل جديد، والقول بأن وسائل الدعوة تبقى توقيفية، تأخير لمسيرة الدعوة، وتحجير لما وسعه الله.

بل إن وسائل فعل بعض العبادات المنصوص عليها بنصوص خاصة يجوز تغييرها، إذا دعت الحاجة لذلك، مثل إخراج زكاة الذهب من الأوراق النقدية، مع أن الأصل أن يكون المقدار الواجب إخراجه، من جنس المال الذي وجبت فيه الزكاة، ومن اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية جواز إخراج قيمة الشاة في زكاة الغنم إذا كان أنفع للفقير وكذلك اختياره جواز إخراج زكاة الفطر من قوت البلد من غير المنصوص عليه وهو رواية عن أحمد، بل هو أفضل فإخراج زكاة الفطر من الرز أنفع للفقير من الشعير المنصوص عليه في الكويت مثلاً.

فهذا في إخراج نفس الزكاة التي هي من أركان الدين ومن أعظم العبادات وفيها نصوص كثيرة، أما وسائل جمعها من الناس وإيصالها لمستحقيها فما يمكن في ذلك من الوسائل الحديثة، شيء كثير يفوق الوصف، يدخل في ذلك استعمال

الحاسبات الآلية المتطورة، والاتصالات الحديثة بشبكات الحاسوب وغير ذلك.

ومعلوم أن الأمور التوقيفية لا يستعمل فيها القياس، فهل يجوز استعمال القياس في العبادات، فتوجب الزكاة في أموالٍ من غير الأصناف المنصوص عليها، ويحرم في وسائل الدعوة؟

وعلىٰ كل حال كيف يستفيد السائل من هذا الجواب؟ وكيف يعرف معنى التوقيف هنا؟ وهل يقصد بذلك الإنكار علىٰ من دخل المجلس النيابي؟ الله أعلم.

٤- قوله: (خذ السلفية لافتة عريضة ونزل منها خطوط مثل أهل السنة والجماعة، مثل أهل الحديث، مثل أنصار السنة.)[1]

التعليـــق:

جعل الاسم الوارد في النصوص الشرعية والأحاديث النبوية متأخراً في الرتبة وفرعاً علىٰ الاسم المتأخر، والصحيح أن اسم أهل السنة أكثر استعمالاً قديماً وحديثاً عند أهل العلم، وفي المصنفات المشهورة في هذا الباب، وأنه يسوغ الانتساب للأسماء الأخرىٰ (أنصار السنة، السلفية)، لأنها كلها تدل علىٰ

(١) ص١١٩

معان محمودة شرعاً، ولا يجوز التعصب لشيء منها بعينه ومنع الناس من سواه.

٥ـ قوله: (ولكن صاحب الهوىٰ لا يشتغل إلا في الباطن، ولا يشتغل إلا في الدسائس، وفي الأقوال التي لا مذهب لها، أما إذا طرح الناس مذاهبهم، وأظهر كلا ما عنده، فإنه لا يجد له بين الناس باب يسلكه)[١]

التعليــق:

**أولاً**: ما هي (الأقوال التي لا مذهب لها؟).

**ثانياً**: ما معنى (طرح الناس مذهبهم وأظهر كلا ما عنده فإنه لا يجد له بين الناس باباً يسلكه)،؟ فليطرح كما طرح الناس!

**ثالثاً**: أهل الأهواء دعوا إلىٰ أهوائهم وأظهروها عبر تاريخ الأمة وملؤا الدنيا بها، ولم يكن في الباطن والدسائس فقط.

**رابعاً**: لعله يريد أن يقول أن الحق إذا قام به أهله وصار قوياً ظاهراً علىٰ غيره، انكفئت الأهواء وانطفأت البدع، وصار أهلها يخشون من سطوة اتباع الحق وسلطانهم، فيسلكون

---

(١) ص١٠٧

كسبيل المنافقين في العهد الأول.

٦- قوله: (أعطونا تجربة واحدة كما يقولون شعبية ثورية، نجحت في تحقيق الأمن والاستقرار في بلاد المسلمين)[١]

التعليـق:

يكفي ذكر تجربة الملك عبدالعزيز بن سعود رحمه الله في ثورته علىٰ ابن رشيد وما حصل بسبب ذلك من المفاسد الجزئية التي أعقبتها مصالح عظيمة، كانت رحمة من الله لعباده.

٧- قوله إجابة علىٰ سؤال: (عندي قلادة اشتريتها من صائغ ثم أرجعتها في نفس اليوم علىٰ أساس أن أشتري أخرىٰ منه فهل يجوز هذا؟)[٢]، قال: (إذا كانت تأخذ بنفس الوزن ونفس الجودة فلا حرج تحتاج إلىٰ تساؤل في هذا).

التعليـق:

اشترط شرطين لجواز أن تشتري الذهب بذهب آخر:

**الأول**: هو المماثلة في الوزن، فهذا لا خلاف فيه.

**الثاني**: هو المماثلة في الجودة، فمن اشترط المماثلة في الجودة، لبيع الذهب بالذهب؟، ولو أرادت أن تشتري ذهباً جديداً

---

(١) ص١١٢

(٢) ص١١٩

جيد الصياغة بذهب آخر قديم رديء الصياغة، والوزن واحد، فمن يحرم هذا من العلماء، وما الدليل؟

٨ـ قوله وقد سئل (هل يجوز تكفير أهل البدع؟).
قال: لا أعلم عاقل ولا مجنون قال بهذا القول[1]

التعليــق:
قد قال به كثير من العقلاء، وإن كان يعتذر عنه بأنه نفى العلم ولم ينف الوقوع.

قال ابن تيمية: (إن المتأول الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر، بل ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفر المخطئين فيها.

وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع، الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع في ذلك كثير من أتباع الأئمة كبعض أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم.

---

(١) ص١١٨

وقد يسلكون في التكفير ذلك، فمنهم من يكفر أهل البدع مطلقاً، ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع، وهذا بعينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية، وهذا القول أيضاً يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة وليس هو قول الأئمة الأربعة ولا غيرهم وليس فيهم من كفر كل مبتدع، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك، ولكن قد ينقل عن أحدهم أنه كفر من قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفراً أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل، فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين، كثبوت الوعيد في حقه، وذلك له شروط وموانع كما بسطناه في موضعه) منهاج السنة ٥/ ٢٤٠

وفي المعاصرين من يكفِّر بعض أهل البدع أيضاً.

# الخلاصة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ آله وصحابته:

وبعد:

فإن المحاضر الفاضل عفا الله عنه قد جمع في محاضرته هذه مسائل خطيرة وأهم ما تم تعقبه منها هي:

١ـ دعواه أن من وصف المتلبِّس ببدعة بالإمام ونحوه فهو ملعون فأدخل كثيراً من الأئمة في اللعنة.

٢ـ دعواه أن الفرق بين السلفي والحزبي يعرف بالممارسة وأن السلفي هو من كان (حقيقةً سلفياً معروفاً)، يريد بذلك حصر الحكم علىٰ الناس بالذم الشرعي علىٰ جهته ومن ينصره على رأيه، فيدخل من يشاء ويخرج من يشاء هداه الله وعفا عنه.

٣ـ دعواه أن من لا يدخلون في اسم أهل السنة، فليسوا من الأمة ولا شأن لنا معهم ولا يريدون منا حديثاً ولا نكثر سوادهم ولا يكثرون سوادنا، ولا نهتم بحمايتهم من الخطر.

٤ـ إخراجه الجماعات الإسلامية من أهل السنة، ودعوته إلىٰ عدم التعاون معهم إلا للضرورة الملجأة.

٥ـ دعواه أنهم من أهل الإفساد في الأرض، اشتغلوا بالسياسة والتهريج، ليصارعوا أهل القصور علىٰ الدنيا، وزجوا بالناس في أتون الإفساد.

٦ـ وأن ما وقع عليهم من اضطهاد وتعذيب، إنما كان بسبب قيادات جاهلة متعجلة لقطف ثمرة الحكم ولم يقل إنه من السنة الجارية فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

قال تعالىٰ: ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾.

٧ـ أنه عندما تكلم علىٰ الأخطار الداخلية حصر هجومه علىٰ الجماعات الإسلامية فذكر أنها (جماعات منحرفة) وأنها (امتداد للفرق القديمة)، وأنها (يحرم التعاون معهم إلا في الضرورة الملجأة)، وأنها (أشغلت الناس بالسياسة بدل إصلاح البيوت)، و(نفرتهم من العلماء، وجعلتهم مداهنين للسلاطين)، وأن مقصودها الحكم، لتقتل بعد ذلك من خالفها، وأنها جاءت بالمشركين تقاتل بهم من تسميهم طواغيت، وأنها لمعت المبتدعة فاستحقت اللعنة،

وأنها جاءت بفقه الواقع (لتجهيل العلماء وصرف الناس عنهم)، وبالحاكمية (لقتل توحيد الإلهية) وهذا لا ريب ظلم لهم لا ينطبق على واقعهم كما ذكر.

٨ـ وعندما جاء ذكر أخطار الباطنية، والعلمانية مع أنها أخطار داخلية وأشد خطراً بلا ريب، قال بأنه لم يتعرض إلى أخطار الفرق الباطنية، ولا لأخطار المنافقين لأن الوقت لا يتسع، مع أن المحاضرة في مكان مفتوح يحضره عوام الناس، ويتعرضون لهذه الأخطار صباح مساء، وهم مع ذلك لا يجدون في الجماعات الإسلامية خاصة في الجزيرة العربية ما هوّله من الأمور، بل يرون ويلمسون فيهم الصلاح والخير.

٩ـ أنه جعل الانحراف الأكبر هو إشغال الأمة بالعمل السياسي غير الشرعي، والمعلوم أن الانحراف الأكبر هو الشرك ومنه الشرك في الطاعة الذي يقترفه كل يوم الحكام بغير ما أنزل الله، والذين لم يحملهم تبعة شيء من الأخطار الداخلية على الأمة في محاضرته.

١٠ـ أنه دعا إلى اتباع العلماء عند العجز عن التمييز، لكنه لم يتبع كبار علماء السلفيين ـ كما تقدمت النقول عنهم

ـ، في مسألة الجماعات الإسلامية ولا غيرها من المسائل التي أصلها فخالف فيها الكتاب والسنة وكلام أهل العلم أيضاً. فلعله يريد علماء مخصوصين يوافقهم في آرائهم.

١١ـ أنه ينزل النصوص في غير منازلها، ويضعها في غير مواضعها مثل آية: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ وحديث: «من آوىٰ محدثاً»، وهذا من القول علىٰ الله بغير علم أعاذنا الله وإياه من ذلك.

١٢ـ أنه يعلق الذم الشرعي علىٰ ألفاظ مشتبهة ما أنزل الله بها من سلطان، ويدخل في مدلولها الذي في نفسه، من يخالفه (الحزبية، التلميع، التهريج؟ ) عفا الله عنه.

وبعـــد:

فنسأل الله العلي القدير أن يشرح صدر المحاضر لتقبل هذه التنبيهات والرجوع عما وقع منه من مجانبة الصواب، فإن الرجوع إلىٰ الحق يدل علىٰ فضل المرء وحلمه، وهو خير من تماديه في الخطأ.

وهو إن شاء الله أهل لذلك ولا يُنكر فضله والله أعلم.

وهو حسبي عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون.

# ( نص المحاضرة مفرغة من الشريط مع المحافظة على السياق[1] )

أنا قلت مراراً ناقلاً حديث النبي ﷺ بأن هذه الأمة ستنقسم لا محالة، إذن نحن نقصد بالأمة هي الأمة الكاملة بمعنىٰ أهل السنة، هم الذين عناهم ربنا سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ هؤلاء الذين نريد، وأما أهل الأهواء والفرق والإنحرافات فهؤلاء لا يريدون منا حديثاً ولا نريد أن نكثر سوادهم ولا يكثرون سوادنا.

قوله: (إذن الأمة المقصودة هم أهل السنة والجماعة، هم عموم المسلمين الذين ليس لهم مذهب عقائدي أو طريقة ينتسبون إليها إلا طريق السنة التي كان عليها النبي ﷺ، هم سواد المسلمين الخلص، هؤلاء الناس هم الذين يعز الله بهم الدين ويذل بهم أعدائه جل وعلا، هم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله تركتكم علىٰ البيضاء ليلها كنهارها سواء لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، وهم المقصود بهم بالجماعة الذي أخبر عندما أخبر بحديث الفرق وبين أن هذه الأمة سوف تفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة فلما سئل عنها قال ما أنا عليه وأصحابي.

(١) بعد المقدمة.

إذن هذه الأمة كيف نحميها من الخطر؟

أول البلاء يأتي من النفس فلا نحول الكفار والشيطان إلىٰ علاقة نعلق عليها أخطائنا وإنما نبدأ بأنفسنا والنبي ﷺ أخبر في الحديث المشهور الذي إذا تبايع الناس بالعينة ورضيتم بالزرع وتمسكتم بأذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلالاً ينزعه حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم، والله تعالىٰ يقول: **﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها علىٰ قوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم﴾**، إذن هذه هي البداية أن ننظر في أنفسنا، فنحن الأمة، أن نبني أنفسنا علىٰ دين الله، أول خطر يهدد الأمة أنا وأنت وعمرو وزيد، إذا انحرفنا انحرفت الأمة وإذا ضعفنا ضعفت الأمة، وإذا هلكنا هلكت الأمة، إذن نحن البداية، ويجب يا أخوان أن يعقل هذا، هذا ليس كلام نظري، بل يجب أن يحول إلىٰ كلام عملي، فأنا وأنت وبيتي وبيتك هي البداية وإذا ما بدأنا هذه البداية فلن تكون للأمة قائمة، لا تأتي ملائكة من السماء، إذن نحن الأمة، أول خطر نحن، وكلما كان عندنا خواء كان في الأمة خواء.

نحن عندنا مجموعة قضايا، يجب أن يكون عندنا علم شرعي، عقيدة صحيحة، سلوك صحيح نريد، بمعنى أن نتحول كالصحابة رضوان الله عليهم في ظاهرنا وباطننا، أن نخلص من الذنوب، فإن الذنوب لا شك هي بريد البلاء وأصعب قضية يا أخوان وأشدها وأقصى عقوبة أن يبتليك الله بالذنب عقوبة، هذه أقصى عقوبة تحمل علىٰ العبد، أن الله تعالىٰ يجعله يذنب عقوبة له علىٰ ذنبه كما قال فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم.

إذن الخطر الأول علىٰ الأمة أنا وأنت إذا انحرفنا، وبيتي وبيتك إذا انحرف، فلنرجع إلىٰ أنفسنا وننظر في أحوالنا بغير بهرج؟ هل نحن صحيح علىٰ درب النبي ﷺ؟ هل نحن صحيح نطبق أحكام الشرع في العدل والرضا والغضب والحب والبغض، هل نحن نطبق السنة الصحيحة في أحوالنا مع أنفسنا مع أمورنا كلها، هذا يرجع لكم أنتم تنظرون فيه وكل أدرىٰ بنفسه وكل إنسان علىٰ نفسه رقيباً.

**الثاني**: وهو في الأمة عام أكبر خطر هو الجهل في الدين وأتىٰ لكم بمثل من الأمثلة، أما تلاحظون أن كثيراً جداً من الناس، أو لنقول طائفة من الناس من الرجال تراه لا تفوته صلاة الفجر وفي رمضان في مكة والحج يحج ومع هذا فهو مرابي، ومع هذا فهو يسمع الأغاني، ومع هذا فهو أحياناً ما يحب الالتزام بالدين، أنا أقول هذا ما عنده دين؟ لأ، ولكنه جهل في الدين ما معنى الدين ما يعرف.

امرأة تصلي، تصوم تفعل الخير ولكن لا تحب الحجاب، تخرج متبرجة جهلها بالدين أوقعها في هذه المصيبة.

إذن يا أخواني الناس جاءوا إلىٰ الإسلام عاطفة، ولكن لا يعرفون الإسلام علىٰ الحقيقة ولذلك تجد الازدواجية والتناقض في الأعمال.

إقبال علىٰ الخير من جانب وفعل للمعصية من جانب آخر، لو كان رجل يعني هوىٰ به الشيطان فزنى نقول غرته نفسه، سرق مرة شرب خمراً، لكن يمارس حياة المعاصي وكأنها ليست معاصي ويمارس حياة الطاعة دون أن يدرك أن هناك تناقض بين هذين الخطين، شخصيتين

مستقلتين تراهما في المسجد، وفي الحرم وفي السوق وفي البيت.

أنا أقول هذا يا أخواني جهل في الدين، تربى عليه الناس من تأثير الثقافة الفاسدة وما يعطىٰ للناس من إسلام مشوش، وهذا أكبر خطر يؤدي إلىٰ انفصام الأمة، لأنه يحول أهل الخير إلىٰ محاربين للدين وهم لا يريدون ذلك، فيكونون إذن أداة بأيدي أعداء الدين لحرب الدين وهم مع هذا يحبون الدين ويصلون.

وكما قال الأولون من جهل شيئاً عاداه.

إذن يجب أن ننظر في هذه المسألة من هذين المنظارين:

**الأول**: أن علينا واجباً أن نعلم الناس الدين الصحيح.

**الثاني**: أن نتلطف مع الناس لأننا لا ندري لماذا هم يفعلون هذا، ما نفترض أن هؤلاء محاربين للدين فنصنفهم في خانة أعداء الله، نكره ما هم فيه من معصية ومن فعل ولكن ندعوهم إلىٰ تصحيح أوضاعهم وتعليمهم الإسلام الصحيح.

هذا واقع في عالمنا وتشاهده في بيتك في عقل أمك وأبيك وفي زوجتك، يشاهد هذا واقع فينا، ترىٰ المرأة ما شاء الله من خيرة الدين، ولكنها تنظر إلىٰ الغناء وترىٰ من خيرة الدين لكن ما تريد لولدها أن يلتحي، الآن تقول له: أنت توّك في أول الدرب أنت.

هذا يا إخواني جهل في الدين، ولا نتخيل أن هؤلاء العجز الركع يحاربون الدين لأ، وإنما جهلهم بدين الله جعلهم يتصرفون هذا التصرف.

وثالثة الآفات هي الأهواء، الأهواء التي دخلت علىٰ هذه الأمة من اختلاطها ومن كثرة ما رمىٰ أهل الأهواء فيها من فتن فدخلت في الناس والأهواء لا علاج لها إلا التدين، فالجاهل يعلم، لكن صاحب الهوىٰ، ويش تسوي فيه، ماله علاج إلا كما عالج عمر رضي الله عنه صبيغ، هذا علاجه، ولكنها آفة وليس لها إلا شيء وهو إظهار الحق، لأن صاحب الهوىٰ لا يشتغل إلا في الباطن، ولا يشتغل إلا في الدسائس، وفي الأقوال التي لا مذهب لها أما إذا طرح الناس مذهبهم، وأظهر كلاً ما عنده، فإنه لا يجد له بين الناس باب يسلكه، وهذه هي الأهواء مصيبة علاجها كما قلت تعليم الناس علىٰ الإخلاص، علىٰ التدين.

ثم بعد ذلك من الخطر العظيم الذي هدد هذه الأمة من أن تكون أمة واحدة هي تحولها إلىٰ فرق وملل ونحل وهذا كما قلت أخبر عنه المصطفى ﷺ، أنه واقع ولكننا منهيين شرعاً أن نفترق.

إذن كيف التوفيق إذاً، التوفيق أننا لا نستطيع أن نمنع شيئاً أخبر الله أنه واقع، ولكننا نستطيع أن نقلل سواد المنحرفين، ونكثر سواد أهل السنة والجماعة أتباع السلف، أتباع الحق، نستطيع ذلك ولهذا أمرنا أن نكون أمة واحدة ونهينا أن تكون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون، فنحن مأمورون أن نكون أمة واحدة، ونحن منهيون أن نكون من هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وملل.

هذه هي أمراضنا، ذنوب ومعاصي، جهل في الدين، تفرق إلىٰ ملل وأحزاب ونحل.

أوقعتنا الذنوب في ضعف سياسي، فتسلط علينا الكفار.

ثم جاءت ردة فعل، منهج السلف في علاج هذا، معروف، سألخصه في آخر الدرس، ردة الفعل هذه قام ناس بين مخلص وبين يريد للأمة أن لا تنهض.

لأنهم يعلمون من سنن الكون أن الإنسان إذا وقع لا بد أن يقوم فقالوا نريده إن قام لا يرجع إلىٰ دربه الذي كان عليه يلف حتىٰ لا يصل والسقوط أحياناً يعمي البصيرة، يضيع الإنسان يعني يلجم الإنسان فلا يعرف كيف كان يسير.

قام كثير من دعاة الإصلاح بين مخلص وبين منحرف يريد انحراف الأمة ونحن لا نعلم ماذا في النيات، فمن ظهر لنا خيره حكمنا له بخير، ومن ظهر لنا خلاف ذلك حكمنا عليه بخلاف ذلك، ويترك أمره إلىٰ الله عز وجل.

هؤلاء المصلحون أو أرباب الجماعات الإسلامية، الذين ورثوا أو تحولت الأمة في فترة، خاصة في البلدان العربية من طرق صوفية ومذاهب فقهية إلىٰ جماعات تقود الأمة نحو الخلاص وتمني الأمة بعودة الخلافة، والوصول إلىٰ الحكم.

لكنهم انحرفوا بأنهم أخذوا منهج الخلف وعقيدتهم وتركوا منهج السلف وعقيدتهم، هذه هي السمة الأساسية للجماعات الدعوية التي قامت في فترة الثلاثين سنة الماضية، وأنا أدخل فيها التي قامت ولا أقصد السلفية لأن السلفية لم تكن غير موجودة ثم وجدت وإنما هي

امتداد فلا تدخل في هذه الجماعات التي قامت.

السلفية كانت ولا تزال وستبقى بإذن الله عز وجل لأنها امتداد لخط الرسول ﷺ الذي رسمه وسار عليه الصحابة رضوان الله عليهم فلا ندخلها في الجماعات الناشئة ولا التي ستنشأ ولا التي قامت ولا التي ستقوم لأنها أصلاً موجودة فلا تدخل في البحث.

هؤلاء المصلحون أخذوا بمنهج الخلف لاعتبارات كثيرة أولها أن هذا الذي تربوا عليه، وكانوا يظنون أن منهج السلف هذا منهج ميت.

وظن بعضهم أن بمنهج الخلف يستطيع أن يجمع الطوائف الثنتين وسبعين، ولكنه نسي وجهل القاعدة الشرعية أنه لن يستطيع ذلك، لأن ذلك قدر الله عز وجل أنهم سيبقون مختلفين ولا يزالون مختلفين.

ترتب علىٰ أخذ هذه الجماعات بمذهب الخلف من أشاعرة ومعتزلة وما إلىٰ ذلك وتربية صوفية، ترتب علىٰ ذلك أن هذه الجماعات قاطبة ولا أستثني منها أحداً، وأكرر بأن السلفية ليست داخلة، لم تنشأ وإنما قديمة.

أخذ هؤلاء بعقيدة ومنهج وطريقة الخلف من معتزلة وأشاعرة وخوارج وقدرية وجهمية وقس عليه، ما شئت كل أخذ بقدره.

ترتب علىٰ ذلك أن رسخ الخلاف، لأن تحول الخلاف من خلاف مذهبي إلىٰ خلاف حزبي، فتفرقت الأمة من جديد، بس بتقسيمة أخرىٰ.

فما أصبحت تقال هاذيل، أشاعرة وهؤلاء معتزلة لأنَ الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية دخلوا هذه الجماعات، فأصبحنا نقول هذا كذا وهذا كذا وهذا كذا.

ثم لم تستفد هذه القيادات والجماعات من واقع اندفاع الناس نحو الدين في تحويلهم إلىٰ طلب العلم الشرعي وإنما حولوا إلىٰ العمل السياسي، وحولوا إلىٰ التهريج.

فكان هناك النتيجة المزعجة، تخلف من الناحية العلمية، ولذلك انظروا إلىٰ مجموع الكتب التي نشرت من فترة ٥٠ إلىٰ ٧٠ ميلادي فترة العشرين هذه ما تجدون كتباً علمية في التحقيق بالضخامة التي نشرت بعد السبعين عندما أخذ السلفيون زمام المبادرة، وفرضوا أنفسهم عقيدة ومنهجاً وطريقة علىٰ الساحة فنشطت الحركة العلمية، من فترة ٧٠ إلىٰ ٩٠

ترتب إذن التخلف علىٰ أخذهم بمذهب الخلف من ناحية، وعلىٰ عدم رغبتهم في تشجيع البحث العلمي، هذا يؤدي كما قالوا إلىٰ ضياع الجهود من ناحية ثانية، ثم ترتب علىٰ ذلك أمراً أعظم من هذا كله.

وهو تلميع المبتدعة وأهل الأهواء القدامى والجدد ووصفهم بالمجدد والإمام والشهيد والعالم الرباني و. و. إلىٰ آخره، ونسوا هؤلاء أنه من آوىٰ مُحدِثاً فعليه لعنة الله.

وفي هذا كلام جميل للحافظ ابن حجر يقول: (وإن كان قد علم

أن من آوىٰ أهل المعاصي «طبعاً أهل البدع أولىٰ» أنه يشاركهم في الإثم فإن من رضي بفعل قوم وعملهم التحق بهم).

يدخلون في هذا، فكان بذلك ترتب علىٰ أخذهم بمنهج الخلف، ترتب عليه هذا الانحراف، ثم توج ذلك بانحراف نراه نحن الأكبر وهو إشغال الأمة بالعمل السياسي غير الشرعي.

نحن طبعاً يا أخواني لسنا بحاجة إلىٰ أن نقول أن الدين من السياسة والسياسة من الدين وأن من فرق بين الدين والسياسة كافر، هذا كلام تعرفه العجائز فلا ندندن عليه، ومن نسب إلىٰ السلفيين غير ذلك فقد كذب عليهم كما كذب عليهم في أمور كثيرة كثير من الكذابين.

لكن نحن نقول أن هذه الجماعات قد أعطت الجانب السياسي أو ما سموه هم (بحرب القصور) أكبر من حجم القضية فجعلوا المشرك يريدون أن يحاربوا به من سموه طاغوتاً.

هذا مشرك شرك أكبر وذلك لعله موحد قد وقع في معصية، فجاء الصراع علىٰ الدنيا، واشتغلوا بعد ذلك بالتكفير وما يسمونه بالجهاد ونحن نسميه بالإفساد في الأرض.

فنشأت هذه المشكلات التي تعاني منها بلاد المسلمين الآن، ونحن نقول الجهاد حق، والخروج علىٰ الحاكم الكافر إن استطاع أهل البلاد ذلك حق، ولكن لا بد أن تراعى المصالح والمفاسد.

ويأتي السؤال العجيب أنه لمصلحة من تخرب بلاد المسلمين من

الذي يستفيد، وأنا أقول لهؤلاء ادرسوا كل تجارب الثورات من أول فساد ظهر من الباطنية في مقتل عثمان إلىٰ يومنا هذا أعطونا تجربة واحدة كما يقولون شعبية ثورية نجحت في تحقيق الأمن والاستقرار في بلاد المسلمين: كل الذي نراه دمار في دمار وضياع وتمكين لأعداء الله أكثر وإعطاء المفسدين في الأرض فرصة أكثر لضرب الإسلام وتشويه سمعته.

وكل هذا النتيجة ستكون أن تحكم طائفة من الناس، فتقتل بعد ذلك باسم الدين الطوائف الأخرىٰ، إذن نحن نقول مطلب أن تبقى الشريعة يحكم شرع الله هذا مطلب، لا يحتاج إلىٰ طرح أكثر، لأنه بديهية أن لا يكون الإنسان مسلماً إلا إذا رغب في قلبه أن يحكم شرع الله وأن لا يكون لعاصي فكيف لكافر يد علىٰ مسلم.

ولكن نحن نقول هذا الانحراف في إظهار ما أسموه بتوحيد الحاكمية وإهمال بقية أنواع التوحيد في ابتداعهم هذا وتجميع الناس عليها واحتياجهم إلىٰ التكفير بعد ذلك ثم ما أسموه بالجهاد، كل هذا نحن نراه من الانحرافات التي كانت ردات فعل عن الواقع المر الذي ما استطاعوا أن يعايشوه ولم يوفقوا بعلماء لأنه للأسف الشديد لأن الجماعات القائمة قد نفرت الشباب من العلماء وجعلتهم مداهنين للسلاطين، فكانت النتيجة إيش، انصراف الشباب في كثير من البلدان عن أن يأخذوا العلم والقدوة والتأسي والفتوىٰ من علمائهم.

وقد حاولوا في الجزيرة ولكن الله سبحانه وتعالىٰ بعباده لطف.

الناحية الشرعية بهذا، نحن نعلم بأن الإنسان لا بد له في الأثرة من الصبر ومراعاة المصلحة العليا علىٰ المصلحة الخاصة.

هذا الذي ذكرناه هو ردات الفعل التي ترتبت علىٰ هذه الجماعات، لم توفق إلىٰ الدرب الصحيح وبالتالي ما استطاعت أن تقي الأمة من خطر الضعف والهوان الذي أرادت.

ويبقى السؤال: إذن كيف نقي أنفسنا من هذه الأخطار العظيمة التي تنخر فينا من داخلنا.
وطبعاً أنا لم أتعرض إلىٰ أخطار الفرق الباطنية فهذه بحثها يطول ولم أتعرض أيضاً إلىٰ أخطار المنافقين فهذه أيضاً بحثها يطول، وإنما تعرضت إلىٰ الخطوط العامة التي نستطيع أن نعالجها بالقدر في إطار ما يسمى بأهل السنة والجماعة.

أنا أقول فيما يبدو لي ـ وهذا ليس مني وإنما تجميع لما قاله أهل العلم ـ أن القضية الأولىٰ، ليس من مخرج أو من درع تتحصن به الأمة من الانزلاق إلا بلزوم عقيدة ومنهج أهل السنة، يعني لا يمكن للأمة أن تنجوا من الانزلاق أو أن تقي نفسها خطر الذوبان والضياع إلا أن يكونوا سلفيين علىٰ طريقة الصحابة.

لأن النبي ﷺ، يقول عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضواً عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، ليس من طريق يا أخواني إلا أن نعتصم بحبل الله سبحانه وتعالىٰ، ولعل ما ذكره الأخوة في محاضرات سابقة يغني عن أن أدندن

أنا عن وجوب لزوم عقيدة أهل السنة وأنها المخرج والمنجي في الدنيا والآخرة، التي تنجيهم هي هذه التي أنجت الصحابة رضوان الله عليهم وإلا يصبح حالنا كما قال مالك رحمه الله: (كلما جاءنا رجل هو أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل علىٰ محمد ﷺ لجدله، يعني إذا ما أخذنا بمنهج وعقيدة السلف المتلقي بالنص فنكون نحن نهباً لأهل الأهواء كلما جاءنا رجل عنده حجة وبيان ولسان وقدرة علىٰ الإقناع أقنعنا، فإذا جاءنا آخر أقنعنا وهكذا، ما ينتهي عندنا بعد ذلك مذهب.

فيقول كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل عليه الصلاة والسلام علىٰ محمد ﷺ لجدله، ما يبقى فينا خير بعد ذلك.

**الثانية**: أن الأمان عند الاختلاف والفتن باتباع العلماء علماء الأمة المرضي عنهم فنتبعهم إذا اختلطت عندنا الأوراق فما استطعنا نميز ننظر علىٰ أي درب ساروا نسير لأنك إما أن تميز بنفسك فإذا اختلطت عليك الأوراق فانظر علىٰ أي درب علماء الأمة يسيرون فسر به والحمد لله لا يخلو عصر ولا مصر من علماء علىٰ منهج النبوة يسيرون وهذا من فضل الله عز وجل وتحقيق لحديث الرسول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم**»، وظاهرين يعني بينين أنهم علىٰ حق وهم في كل عصر ومصر بفضل الله تعالىٰ.

**الثالثة**: أن نحقق فيما بيننا أخوة الإيمان، بمعنى أن نعطي المؤمن حقه فالمؤمن له قيمة عند الله، مكانة منزلة، حقه أن لا نظلمه، ومن حقه أن لا نغتابه، ومن حقه أن لا نعين عليه آخر، ومن حقه أن

نكرمه، ومن حقه ما شئت من حقوق المسلم علىٰ المسلم عدها في الكتب.

إذا تحققت الأخوة الإيمانية أصبحنا كالبنيان فمن يخترق البنيان المرصوص، البنيان إذا صار مرصوص لا يخترق.

ولا يمكن للبنيان أن يكون مرصوصاً إلا إذا تحققت الأخوة الإيمانية، ومن أهم تحقيق الأخوة الإيمانية، أن نتساوىٰ في الظاهر في هيئاتنا، فإذا رأيته من بعيد علمت أن هذا صاحب سنة.

**الرابعة**: أن نعلم يا إخواني أن مشكلة الشباب الآن أننا بحاجة إلىٰ التربية علىٰ السلفية الصحيحة ومما يذكره الشيخ ناصر حفظه الله: (قد نادينا بالتصفية والتربية، وقطعنا شوطاً بعيداً في التصفية أي تصفية الإسلام من الشوائب نحتاج الآن إلىٰ أن نقطع نفس الشوط في التربية هذا معنى كلامه).

إذن فنحن بحاجة الآن إلىٰ أن نتربى علىٰ الإسلام المصفى، وهذا يا أخواني أصعب من التصفية، لأن التصفية قضايا نظرية كثيرة، وإنما التربية ففي سلوكنا والعلة الآن فينا، فإذا استطعنا أن نتربى علىٰ الإسلام الصحيح المصفى ونكون كالصحابة رضوان الله عليهم قولاً وعملاً يتغير الحال بعد ذلك.

**والخامسة**: أن يتمايز الصف وهذه ضرورة، أن يعرف هؤلاء أهل سنة وهؤلاء أهل بدعة يتمايزون نظرياً وواقعياً، ولذلك تداخل أهل

السنة مع أهل البدعة يضيع، وتكثير سواد أهل البدع لا يجوز، وتكثير سواد أهل الحق واجب، وهكذا كان الأولون يعرف فلان من أهل السنة وفلان وفلان من أهل الأهواء، فلان من هذه الطائفة.

في عصرنا هذا أراد السياسيون أن يزيلوا هذا التمايز، لماذا حتى الجميع يكون معهم فيصلوا إلىٰ مآربهم، لماذا يراد تمييع التمايز بين أهل البدع وأهل السنة حتى يحقق للسياسيين مقاصدهم.

ونحن نقول لا، ليحيي من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

وآخــــــرها:

أن هذا لا يأتي إلا بالصبر كما قال تعالىٰ: ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾، فإذا تواصينا بالصبر وصبر بعضنا علىٰ بعض، وصبرنا علىٰ أنفسنا تحولنا إلىٰ أمة قوية، هذا الذي ذكرناه كله فيما يسمى بالمشكلات أو الأخطار التي تواجه الأمة المسلمة، وبينت فما أظن وهذا ارتجال، وإلا فالأمر بحاجة إلىٰ ناس يتخصصون له أكثر، فيما أظن أنه لو أخذنا به نجونا.

ولكني أختم بأننا بحاجة إلى ترتيب كما يقال البيت السلفي من داخله، فإن المغرضين قد نجحوا إلىٰ حد ما في التحريش، وقد جاء في الحديث، بأن الشيطان يأس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم، وأنا أشاهد أن في عموم البلاد العربية هناك التحريش بين السلفيين، بعضهم بعض خاصة طلاب العلم فأنا أقول

وقد تتبعت معظم ما يجري به التحريش فما وجدته يقوم علىٰ أصل علمي قوي، أخطاء حولت إلىٰ قواعد ونفخ فيها الشيطان، ونفخ فيها، نقالوا النميمة وكبروا الكلام فأصبحت قضايا لعبت فيها النفوس لعبها، فلذلك أنا أقول أنه ينبغي علىٰ طلاب العلم خاصة من السلفيين أن يحصروا دوائر الخلاف فيما بينهم البين، حصر علمي لأننا يا أخواني نقول بأن منهج السلف وطريقة السلف كفيلة بحل الخلاف بين الأمة وأن من سلك هذا المسلك سلم، يأتي الناس فيرون أن هناك خلاف بين من ينتسبون إلىٰ الخط السلفي، طبعاً هناك أناس يزعمون أنهم من السلفيين، لكن ما هم من السلفيين لسنا وهم بشيء، ما نريدهم هؤلاء، نحن نريد من حقيقة كان سلفياً معروفاً، فهؤلاء الناس الأخوة طلاب العلم أنا أقول الطريق الصحيح هو أن يحصر بعضنا أخطاء البعض، حصر علمي ويتناقش فيها المناقشة العلمية، ولا نسمح لطلاب العلم الصغار أن يتطفلوا في النميمة والغيبة في نقلهم، إذا نجحنا في ترتيب البيت السلفي وأرجو أن يكون هذا، وهو سهل بفضل الله وليس بالأمر العظيم وإن كان يكبر أحياناً فأنا بذلك نثبت للناس عملياً بأن الدعوة السلفية وبأن المنهج السلفي كفيل بأن يوجد الأمة القوية، التي لا يغلبها أحد بإذن الله سبحانه وتعالىٰ. ا.هـ. المقصود منه بلفظه.

الأسئلـــــة[1]:

سؤال عن خروج ابن عبدالوهاب على الأتراك.

جواب: من الناحية العملية فاسد، إحالة.

سؤال: عن المدعين السلفية والسلفيين الحقيقيين (التفريق).

جواب: أقول أصبحت الآن السلفية كما يقال مغنم وقد كانت مغرم، فكثير من الناس الآن يدعون بأنهم سلفيين وبأنهم حريصون على السلفية من التشويه، وهم لها مشوهون أكثر من غيرهم والسلفيون معروفون، يعرف بعضهم بعضاً كما تعرف كل أمة جماعتها).

سؤال: هل يجوز تكفير أهل البدع.

جواب: لا أعلم لا عاقل ولا مجنون قال بهذا القول.

سؤال: عن السلفية وأهل السنة والجماعة.

جواب: أنا أقول بأن أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أهل الأثر، أهل الحديث، كلها تحت لافتة السلفية.

يعني خذ السلفية لافتة عريضة، ونزل منها خطوط مثل أهل السنة والجماعة، مثل أهل الحديث، مثل أنصار السنة، مثل الفرقة الناجية، مثل الطائفة المنصورة، كل هؤلاء يدخلون في ذلك المسمى العظيم.

---

(١) بعض الأسئلة لم تفرغ لعدم الحاجة.

سؤال: هل وسائل الدعوة توقيفية.

جواب: نحتاج أن نعرف ما هي الوسيلة إن كنا نقصد بالوسيلة الميكرفون والسيارة والطاولة والشريط وما يمكن أن يدخل تحت هذا الباب فلا أعلم عاقلاً يقول بأنها توقيفية.

وأما أن كنا نقصد بها الوسائل التي ذات الصلة بالمنهج والفهم فلا شك أنها توقيفية، فلا بد أن نحدد ما المراد بها.

سؤال: هل يجوز التعامل بين السلفيين والجماعات الموجودة القائمة؟ وما هي ضوابط هذا التعامل؟

جواب: الأصل في التعامل في الضرورات، فإذا احتاج السلفي في عمله إلىٰ تعاون مع جمعية أخرىٰ من غير أن يخل بمنهجه وعقيدته فلا حرج كضرورة يلجأ إليها، وإلا فالأصل تمايز الصف السلفي عن غيره من بقية الصفوف وهذا أنفع وأريح وأهدأ.

سؤال: ما رأيك في كتاب الأخوان المسلمون لفريد المالكي؟

جواب: جيد في إجماله، وإن كان في بعض الأمور تحتاج إلىٰ تثبيت وهي قليلة لكن من حيث العموم كتاب جيد وهم إلىٰ الآن ما ردوا عليه.

سؤال: عندي قلادة اشتريتها من صائغ ثم أرجعتها في نفس اليوم علىٰ أساس أن أشتري أخرىٰ منه فهل يجوز هذا؟

جواب: إذا كانت تأخذ بنفس الوزن ونفس الجودة فلا حرج، تحتاج إلىٰ تسائل في هذه.

سؤال: أوصاف الحزبيين؟

جواب: معروفين يعرفهم الإنسان بحركاتهم وسكناتهم وتعصبهم ضد أهل الحق، في أحياناً بعض العلم ما ينوصف، إلا الإنسان يعرفه بالممارسة، وحتىٰ يعرف الإنسان كل أعداء السلفية، ما عليه إلا أن يدعوا إلىٰ السلفية، بس تدعو لها ستنكشف لك كل الأمور كل الذين يحبونك وأنت نائم يتحولون إلىٰ أعداء وأنت قائم.

سؤال: ما حكم تقسيم التوحيد إلىٰ أربعة أقسام، الرابع هو الحاكمية؟

ذكرنا هذا، وذكر علماؤنا بأن هذا محدث أرادوا به قتل توحيد الألوهية فأبدلوه بالحاكمية.

سؤال: عن فتوىٰ الشيخ عبدالعزيز في مسألة اليهود.

جواب: (لكننا نرىٰ أن الفتوىٰ تحتاج إلىٰ التقييد في بعض جوانبها، ولعل الشيخ تُوضَّح له الأمور فيوضح).

# الفهـرس

## سيصدر قريباً عن دار التجديد بإذن الله

١ ـ فتاوىٰ وكلمات في حكم دخول البرلمانات.

٢ ـ فتاوىٰ وكلمات في حكم الوسائل المستخدمة في الدعوات.

٣ ـ فتاوىٰ وكلمات في حكم الاغتيالات والمظاهرات.

٤ ـ الأحزاب السياسية في ظل الدولة الإسلامية.

٥ ـ الاتجاهات العلمانية في الصحافة الكويتية.

٦ ـ أثر الفكر العلماني علىٰ الجهاز الإعلامي.

٧ ـ شرح (بيان وتوضيح حول ما يجري علىٰ ساحة الدعوة في دولة الكويت).

٨ ـ جزء فيمن سجن من العلماء.

٩ ـ انتخاب المرأة نظرة شرعية.

١٠ـ ورقات في فقه الاختلاف.